ابو المجد

الاستعمار احلاف ودولارات

مجلد صالح الاقر
تلفون

956:A16iA

أبو المجد، صبري.

الاستعمار أحلاف ودولارات.

956
A16iA

JAFET LIB.
11 JAN 2016
Circulation Dept. 4

956
A16iA

صبري أبو المجد

الاستعمار

أحلاف ودولارات

مارس ١٩٥٥

BIBLIOTECA CENTRAL
PERU

موضوع اليوم

للاستاذ الكبير فكرى أباظة

البحاثة القناص النهاز للفرص هو زميلى صبرى ابو المجد

يختار الظرف المناسب . فيصدر مؤلفه المناسب .. ولئن طاوعته حاسة اختيار الظرف المناسب ، فكيف تطاوعه القدرة على اخراج المؤلف المحكم فى الوقت المناسب ؟!

لا تفسير عندى الا أن هذا هو وحى الوطنية ، والهام الوطنية ، ومعجزة الوطنية ...

* * *

حين ضج الناس ضجيجهم حول «الحياد» ، وانقسمت الاراء ، وبرزت فى عالم الشرق العربى أحزاب بل حكومات ، تجنح الى الحياد ، كان زميلى صبرى أبو المجد أسرع من رد الطرف فأصدر كتابه الجامع عن « الحياد » ، ولن اتهم بالمبالغة ، اذا ما قلت ان هذا الكتاب كان ذا فضل — على الاقل — فى التمهيد لهذه الخطوة أو لهذه السياسة التى ظهرت اثارها فيما بعد ..

* * *

وحين اكفهر الجو حول المطلب المصرى المزمن وهو الجلاء كان أسرع ركضا من البرق فأصدر كتابه عن « الجلاء » وزود

مطلب العدل والحق والكرامة بأسانيده ووثائقه وحججه التى لا تدفع ! ...

وها هو ـ ومشكلة الاحلاف لا تزال تعالج ـ يبادر مبادرة « ذرية » الى اصدار هذا الكتاب ... ولست أدرى ماذا أقول فيه ، وهو مبسوط الصفحات أمام أعين القراء واذهانهم ، وفيه ـ كما فى زميليه السابقين ـ ما يغذى كل سياسى مسئول أو غير مسئول ، وكل مشتغل بالمسائل العامة ، وكل مفكر من أهل الرأى ، وكل أستاذ يعلم ، وكل طالب يتعلم ...

لا استطيع أن أقول الكثير ...

وأنما أحب أن أثبت هذه الحقائق التى تتعلق بموضوع اليوم وكل يوم : موضوع « الاحلاف » .

الحقيقة الاولى ـ هذه الدول الكبرى المتعادية ، التى يريد بعضها أن يفتك بالبعض الاخر ، هى دول استعمارية ـ أو رأسمالية ـ أو شيوعية ! ...

والدول الاستعمارية تضم انجلترا وفرنسا وغيرها ... وهدف هذه الدول الاستعمارية أن تحافظ على استعمارها فى آسيا وافريقيا ، وما بقى لها من مخلفات متناثرة فى جميع انحاء العالم ! هل نحن ـ المصريين أو العرب ـ من أحباب هذا اللون الدولى من ألوان الاستعمار ؟!

هل يعنينا ـ نحن المصريين أو العرب بقاء هذه الدول ـ أى بقاء استعمارها ـ فيرتضى ضميرنا ، أو ترتضى ذمتنا أن تنضم الى جانبها بابنائنا وشبابنا وأرزاقنا ومواردنا ومواقعنا الاستراتيجية ومرافقنا الاقتصادية والقومية ؟!

أيرتضى ضميرنا وترتضى ذمتنا ، أن نكون عونا للاستعمار الذى جثم أعواما طويلة على صدورنا، واستنزف دماءنا، واختلس خيرنا وأعاق نهضتنا وتقدمنا . ولا يزال يفتك الفتك الوحشى بأخواننا ومواطنينا فى بعض البلاد العربية ؟! اذن : تجيب الحقيقة الاولى بصوتها القوى :

لا ! محال !

الحقيقة الثانية : الدول الرأسمالية وفى مقدمتها امريكا !

هل نقبل أن نكون مأجورين لا لهدف نبيل أو لغرض جليل ! اللهم الا لكى نعاون فى رفاهية الممول الامريكى أو الانجليزى أو الفرنسى؟! واللهم الا لكى نعاون فى رفاهية المستهلك الامريكى أو الانجليزى أو الفرنسى ؟! ما هى الجامعة التى تجمعنا بهذين الصنفين ؟ لكى ننجد الاستعماريين يجب ان نكون استعماريين ، ولكى ننجد الرأسماليين يجب أن نكون رأسماليين، والافما هو « القاسم المشترك الاعظم » بيننا وبين هؤلاء ؟.

لكى ننضم الى فريق يتحتم أن تكون هناك صلة قرابة أو نسب، أو صداقة بين الغرض والغرض . والهدف والهدف . والغاية والغاية ...

الحقيقة الثالثة ـ الدول الشيوعية وفى مقدمتها روسيا والصين .

ماذا بيننا وبينها من روابط التاريخ ؟ أو من روابط العناصر الدينية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ؟

لا شىء !

خلاصة هذه الحقائق الثلاث أننا لسنا بالاستعماريين ، ولا بالرأسماليين ، ولا بالشيوعيين ، وهنا يبرز هذا السؤال :

« بأى ضمير ؟ وبأية ذمة ؟ وبأية وطنية ؟ يرتضى أى سياسى عربى مسئول أن يجر وطنه الى حلف استعمارى ؟.. أو رأسمالى ؟.. أو شيوعى » ؟

تجيب البدهيات الابجديات : « لا محال ! » .

* * *

الحقيقة الرابعة ــ من هو عدونا نحن العرب ؟

الجواب : عدو واحد هو اسرائيل ... ومن خلق هذا العدو ؟ ومن أوجده ؟ ومن زج به فى كيان الامة العربية ؟ ومن رعاه ورباه ونماه واغدق عليه من ماله وسلاحه ؟ ومن نصره فى باطل مزاعمه وقضاياه ؟ الواقع يقول : « انه الاستعمار . وانها الرأسمالية » وقد كان الاستعمار عدوا لدودا لنا ولا يزال !

وكانت الرأسمالية نصيرة الاستعمار فى جميع أدوار التاريخ ضد آمالنا وأمانينا ... وضد حريتنا واستقلالنا ! أليس من العجب العجاب أن ننضم الى هؤلاء لنقوى استعمارهم . ولننمى رأسمالهم ، ولندعم ربيبتهم اسرائيل ؟

هذا هو الخرق فى الرأى ! أو هذه هى الحماقة ! وأدهى من ذلك كله وأمر ، أننا نصادق الاعداء ونستعدى غير الاعداء ! أى خبل فى التاريخ هو هذا الخبل ؟ نقول لروسيا بغير مناسبة . وبغير مبرر : « أنت العدوة ! أنت الخصم ! فهيا أدخلى فى برامج

دفاعك وهجومك أننا أعداء ! وهيا أدخلى فى « خط السير » لقنابلك الذرية ، والهيدروجينية ، أننا أعداء ! هيا حطمى ودمرى وخربى ، ما دمنا قد اخترنا أن نكون لك من الاعداء !!! »

* * *

الحقيقة الخامسة :

بماذا نساهم ــ نحن المصريين والعرب اذا أنضممنا الى احلاف أحد المعسكرين الكبيرين؟. اننا نساهم فقط ــ لخدمة الاستعمار ــ بمواقعنا الاستراتيجية ليحتلوها ، وبارزاقنا واقواتنا ليلتهموها . وبابنائنا ورجالنا ليقضوا عليهم هذا ما حدث فى الحربين الاولى والثانية ، وكان الجزاء جزاء سنمار ، كما قلنا اكثر من مرة . أو كان الجزاء هو تلك الهدية الثمينة : اسرائيل ! ..

الحقيقة السادسة :

الحرب المقبلة حرب قنبلة ذرية ، وقنبلة هيدروجينية ! أو حرب خراب وتدمير فى ساعات أو أيام أو أسابيع ! وقد أثبتت التجربة أن الغالب والمغلوب فى دنيا الخراب والدمار سواء ! فمن يا ترى يدركنا بتعويض ذلك الخراب والدمار ! وماذا نستفيد من النصر فى هذا الحلف .. أو ذاك الحلف ؟

الحقيقة السابعة :

لقانون الحرب نتائج وآثار . والويل للمغلوب ! ومن يدرى؟ هل تحتمل أمكانياتنا أن تتحمل ضرائب الهزيمة الفادحة ؟ وغراماتها

وتعويضاتها وجحيمها ... وهى محتملة لانها فى علم الله ؟...

***

هذه بعض الحقائق التى اذا استقرت فى ذهن كل مفكر عادى، فانها تؤدى حتما الى اقرار سياسة مصر فى مقاومة الاحلاف ... ومناهضة الاحلاف ...

على بركة الله اذن يا زميلى . وليشق كتابك طريقه الى الرأى السليم ... والمذهب التويم ...

ولتعلم ان كل ما تبذله من جهد ومن مال فى سبيل نشر تلك الكتب الوطنية لن يضيع عند الله وعند الشعب ...

فكرى أباظة

كلمة صريحة

لماذا أصدر اليوم هذا الكتاب ؟ ولماذا أصدرت قبله « الحياد ؟ » « والجلاء ؟ » ولماذا أنوى اصدار كتب أخرى قد تكون شهرية ؟وقد تكون نصف سنوية ؟ ولماذا أكلف نفسى شططا عندما أتولى الانفاق على طبعها ونشرها ؟ ولماذا أحرم نفسى من وقت فراغى ، وافرض عليها هذا العمل المرهق المضنى ؟ ولماذا أفرح وابتهج عندما أخرج كتابا جديدا ؟

هذه الاسئلة كلهـا دارت بذهنى عنـــدما فكرت فى كتابة هذه المقدمة ، ولقد حاولت مرارا أن أطردها من تفكيرى والا أفكر فى الرد عليها ، وحاولت مرارا الا أشرك القـارىء فى هذه الاســئلة أو الرد عليها ، لاننى أضن بوقته وجهـده أن يضيع فى قراءة كلمة خاصة لا تتصل به ولا بشئونه من قريب أو بعيـد ، وأخيرا استقر رايى على أن أشرك القارىء فى هذا الموضـوع ، بل وأشغله أيضا ، وكان الدافع الذى دفعنى الى ذلك كلمة أرسلها الى قارىء يسألنى من أين أطبع هذه الكتب ؟

ورأيت أن الموضوع ينبغى أن توضح كل ظروفه : مبلغ من المال تجمـع فى يدى من عـــرق جبينى ، فكرت فى انفـــاقه ، ولمـا كنت أومن بالشـورى ، وأكره الاســتبداد فى الرأى ، حتى فيما يتعلق بأمورى الخاصة ، فقد عرضت الامر على بعض الاصدقاء فى هيئة مؤتمر عائلى ، وطرحت عليهم هذا السؤال ! « كيف أنفق هذا المبلغ ؟ » وقال أحدهم : « لا بد من عروس تملأ عليك فراغ بيتك ، وتوفر لك السعادة والطمأنينة التى تفقدها فى حياتك » وقال آخر : « لابد لك من عربة فان رأسمال الصحفى ، تليفون ، وآلة تصوير ، وعربة ،وينقصك العربة» وقال ثالث وهو من خريجى كلية التجارة : « ان هذا المبلغ تافه لا يستحق كل هذه الضجة وكل هذه الابحاث

وانصحك بأن تضاعفه فى مشروع تجارى تحقق به جزءا كبيرا من طموح الشباب !!

وجلست استمع أكثر من نصف ساعة الى جملة اقتراحات وفى اليوم التالى كنت أسير مع صديق فى شارع القصر العينى وسألنى ماذا قررت وأى مشروع اخترت قلت : « ولا واحد » ، وعلت الدهشة وجه الصديق ، وارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة ثم قال : « يحسن بك أن تستدعى شاخت الخبير الالمانى ليبحث لك مشروعك » .

وبلعت السخرية ، واتجهنا سويا الى مطبعة « الصباح » ودفعت اليها بأصول كتاب « الحيـاد » ، وتركت مع هذه الاصول جزءا لا بأس به من المبلغ ، ثم عدت بعد شهر أدفع الى المطبعة بكتاب « الجلاء » وجزءا آخر من المبلغ .

وفى الاسبوع الماضى اتجهت أيضا الى المطبعة ودفعت اليها بأصول «الاستعمار» وجزءا آخر من المبلغ..وبعد شهر أو شهرين سأتجه أيضا الى المطبعة ،وأترك فيها جزءا آخر من المبلغ ، قد يكون الاخير وقد يكون ماقبل الاخير فلست أدرى!ولم أفكر مرة واحدة فى أن جمهور القراء الذى يأكل الكتب الجنسية، ويلتهم الصور العارية سوف يعيرنى جزءا قليلا من وقته ،ولم يستبد بى الامل دقيقة واحدة فى أن أحلق فى جو من النجاح المرموق ، وكل الذى فكرته وقدرته هو أن هناك مجهودا ينبغى أن يبذل ، ودما ينبغى أن يقدم ، ولم أفكر الا فى ثمن واحد هو رضاء الضمير ،وظللت أبحث عن هذا الثمن ، الى أن وجدته فى أسبوع الجامعات .. لقد اخترت حجرة ضيقة فى مبنى المدينة الجامعية ، كانت تصدر منها جامعة الاسكندرية جريدتها اليومية الخاصة بمهرجان شباب الجامعات ، وكنت أقضى فراغى فى هذه الحجرة التى وجدت فيها صورة حية من أيامى فى الجامعة ، ووجدت طالبا فى خلوة مع كتاب يقرأ بعض فصوله ، ويلخص البعض الآخر لينشر الملخص فى مجلة الكلية ، ووجدت هذا

الكتاب يحمل اسم « الحيـاد »وخيل لى اننى ابتسم لاول مرة فى حياتى من كل قلبى .. لقد استرحت ...

شاب جامعى واحـد ، بعث فى قلبى الراحة التى ظللت أنشدها منذ شـهور ، وجلست مع هذا الشاب وزملائه سـاعات طويلة ، وسرت الى عدوى السعادة التى كانوا يشعرون بها .. لقد جاءوا من الاسكندرية الى القاهرة للاشتراك فى المهرجان .. كانت روايات رائعة تمثل فى المسرح الجامعى ، وكانت هناك حفلات سمر جميلة يحييها جوالة الجامعـات ، وكانت هنـاك أسـباب عـدة للمرح والابتهـاج ، ولكنهم تركوا كل هذا وراء ظهورهم ، وانصرفوا بكل همتهم الى جريدتهم اليـومية .. كانوا يذهبون الى الشخصيات الكبيرة ، ليحصلوا منها على أحاديث ، وكانوا يجمعون أخبار المهرجان من كل أنحاء المدينة الجامعية ، وكانوا يقفون أمام ماكينات «الرونيو» ليطبعوا الجـريدة ، وكانوا يشتركون معـا فى تدبيسها .. وكانوا يعدونها للتوزيع ، فاذا ما حانت الساعة الثامنة مساء وقف أحدهم فى نافذة ضيقة تطل على حديقة المدينة ، ليعلن نبأ صدور الجريدة اليومية التى تصدرها جامعة الاسكندرية ، فاذا ما وزعت الجريدة ، جلسوا على تلك المقـاعد الخشبية ، أكثر ما يكونون راحـة بال ، وهدوء نفس ، وسعادة ضمير ...

وكان يحلو لى دائما أن أتطلع الى وجوههم التى علاها الفـرح والسرور ، وامتلأت بالثقـة والامل ، لعلى أشعر واياهم بالفـرح والسرور ، والثقة والامل ..

لقد كانوا يؤدون الواجب لانه واجب !! وكان تعبهم يضيع عندما يجدون صدى لعملهم فى جريدة الجامعة !!

ولكن ما العلاقة بين هذه المقدمة الطويلة المملة ، وبين كتاب عن الاستعمار ، والدولارات ، والاحـلاف ؟ .. ما علاقة كلام يصطبغ بالصبغة الخاصة فى بعض الاحيان ، ويصطبغ بلفيف من الشباب فى كثير من الاحيان ؟ لقد أردت أن أقول فى هذه المقدمة بصراحة ، اننا كنا فى الماضى أقل وعيا وادراكا من شـباب اليوم ، واننا كنا فى

الماضى ـ منذ خمس سنوات على الاقل ـ أقل فهما للظروف السياسية من طلاب اليوم ، واننا كنا فى الماضى ، والعاملون منا على وجه خاص فى الحقل العام ـ قلة بينما هؤلاء اليوم كثرة .. وبمرور الزمن ـ الزمن القصير ـ سوف يصبح الوعى القومى، أشد اكتمالا، وأكثر بروزا ، وأقوى تأثيرا .. هذه نقطة !

والنقطة الثانية التى أطلت بسببها فى هذه المقدمة ، هى اننا ينقصنا ـ جميعا دون استثناء ـ الشعور بالواجب لانه واجب وان أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين أكثر تضحيات من غيرهم ، وأشد ايمانا بالوطن أكثر من سواهم ، ولست أجد تعليلا لهذا الا أن النفوس فى هذه المرحلة من الحياة لا تكون قد تلوثت بعد ، ولا تكون أدران المادة ، ومساوىء النفعية ، قد علقت بها ، كما أن النفوس فى هذه الفترة القصيرة تكون فى حاجة الى الغذاء الروحى لا الغذاء المادى ، ونحن فى الشرق على وجه خاص فى حاجة الى الايمان بمثل عليا لا تتحطم فى سن الثلاثين ، ولا تختفى فى سن الاربعين ..

نريد أن نوجه شبابنا وجهة صحيحة خالصة للوطن ، نريده أن يكره الاستعمار لان الاستعمار يستحق أن يكره .. ويؤمن بالوطن، لان الوطن ينبغى أن نؤمن به .. ويفضل الصالح العام على الصالح الخاص لان الصالح العام دائم ، والصالح الخاص فان .. نريد أن نشعر شبابنا بأنه كل شىء فى هذا البلد .. شبابنا الذى يضع روحه على كفه ليبذلها فى سبيل بلده ، شبابنا الذى يجب أن يفنى فى سبيل وطنه .. شبابنا الذى يجب انه يضع حياته ومستقبله ، وآماله ، فى خدمة شعبه ..

نريد أن نحفز شبابنا على أن يوسع آفاق تفكيره ، فلا يكون انانيا فى وطنيته ، ولا يكون ضيقا فى قوميته ، بل يسعى دائما لنفع الانسانية .وطنه الاكبر ، ويجاهد لافادة أكبر عدد من الناس ، أشترك معهم فى نطاق الوطن ، واشترك معهم فى نطاق الانسانية..

نريد أن نخلق طائفة من الشباب تفكر فى وطنها وتسعى

لسعادة شعبها ، وتحيا وتموت من أجل رفعة أمتها ..

نريد ان نبعث فى هذه الامة الكبرى ـ امة الشرق ـ جيلا يؤمن بالتضحية ويؤمن بنكران الذات .

نريد ان نوجد رجالا بمعنى الكلمة يدافعون عن كرامتهم حتى يمكنهم ان يدافعوا عن كرامة بلادهم ، ويكافحون من اجل سمو انفسهم ليتسنى لهم ان يكافحوا من اجل سمو بلدهم .

نريد شبابا يسأل نفسه كل صباح ما الذى قدمه لأمته ، قبل أن يسألها ما الذى قدمه لنفسه ..

نريد جيلا يؤدى الواجب لكى يشعر باللذة الحقيقية للسعادة التى يشعر بها كل من أدى واجبا .

نريد جيلا جديدا بمعنى الكلمة .

وحينئذ لن يكون هناك استعمار ، ولن تكون هناك أحلاف ، ولن تكون هناك دولارات يراد بها شراء الشعوب .

وحينئذ لن تنجح الدول الاستعمارية فى اشعال حرب ، ولن تنجح هى فى أن تجعلنا وقودا لهذه الحرب . وحينئذ نستطيع أن نحقق كل أهدافنا فى الحرية ، والديمقراطية والمساواة . وحينئذ نستطيع أن نغير مجرى التاريخ بل نملى ارادتنا على التاريخ .

صبرى ابو المجد

لماذا يحارب الاستعمار

كثير من الانجليز ، والامريكان والفرنسيين وغيرهم وغيرهم من أرباب الاستعمار يتساءلون لماذا يحارب الاستعمار من شرق فى هذه الأيام محاربة قوية عنيفة ..

كما يتساءلون أيضا لماذا هبت شعوب الشرق هذه « الهبة » القوية العنيفة ، ولماذا أصبح مصير الاستعمار فى هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة يلفظ أنفاسه الاخيرة ..؟

ويتساءل أرباب الاستعمار أيضا لماذا تحرض مصر على تحريض شعوب الشرق ـ والشرق الاوسط خاصة ـ على كراهية الاستعمار، وعلى نبذ الاحلاف ..

ويتساءل أرباب الاستعمار أيضا ، لماذا هذه الضجة التى أثيرت حول الحلف العراقى التركى بالرغم أن أحلافا أخرى تمت فى الشرق وفى الغرب ولم تقابل بمثل هذه الضجة !

ويتساءل أرباب الاستعمار أيضا لماذا يتنكر الشرقيون لفرنسا وانجلترا وأمريكا فى كل مكان من بلدان الشرق بالرغم من أن هذه الدول الثلاث قد قامت بحماية الشرق من الطغيان الفاشستى والطغيان النازى ..؟

ويتساءل أرباب الاستعمار أيضا هل هذه الثورة العنيفة المنبعثة من بلدان الشرق من شاطىء المحيط الاطلسى الى شاطىء المحيط الهندى ضد الاستعمار هل هى مدينة لروسيا بالمساعدة أو المعونة ؟

كل هذه الاسئلة نسمعها اليوم ، كما كنا نسمعها بالامس وكما نسمعها غدا .

والاجابة على هذه الاسئلة ضرورية لنا وضرورية لارباب الاستعمار أيضا ..

نحن حقا نكره الاستعمار بكل صنوفه وبكل أشكاله وألوانه ، ونحن حقا نؤمن بالديمقراطية الحقة ايمانا مطلقا لا حد له .. ونحن حقا نكره السياسة الامريكية والسياسة الفرنسية والسياسة الانجليزية تلك التى تهدف الى احتلال الشعوب واذلالها .

ونحن حقا نكره كل سياسة تحاول أن تربطنا بهؤلاء الذين

احتلونا ، وسيطروا علينا أمدا طويلا من الدهر ..

ونحن حقا نؤمن بسياسة الاعتماد على أنفسنا دون الاعتماد على غيرنا ..

ونحن حقا نسعى ـ وخاصة فى هذه الايام ـ الى أن نسلك سبيلنا فى الحياة لا نعرف الا الحق .. ولا نؤمن الا بالحرية ..

ونحن حقا وقد ازدادت محاربتنا للاستعمار .. أصبحنا نحاربه عند شبابنا ، نحاربه عند شيوخنا ، نحاربه عند أطفالنا ، نحاربه عند زوجاتنا وأمهاتنا ، ولم يحدث قط فى تاريخنا أن أجمع الشعب على كراهيته للاستعمار مثل ما يفعل اليوم .. ونحن لا نفعل ذلك بتحريض من أية دولة كانت .. ولا نفعل ذلك بمعونة أية دولة أجنبية كانت .. بل نفعل ذلك لاننا قاسينا من الاستعمار كثيرا من الآلام والمحن .. أفسد الاستعمار تعليمنا وأفسد الاستعمار أخلاقنا ، وأفسد الاستعمار اقتصادياتنا ، وأفسد الاستعمار مجتمعنا وجعلنا كلنا فسادا فى فساد .. فاذا ما أخذنا اليوم نتنبه الى أنفسنا ونشعر بسوء حالتنا ، ونحاول أن نداوى شعبنا من الامراض الاستعمارية التى تفتك به ، فانما نفعل ذلك ونحن مؤمنون بأننا سننتصر ... وسنهزم الاستعمار مهما يعتمد على القوة والسلطان ..

ومصر حقا تتزعم الدول التى تعمل على مكافحة الاستعمار لانها قد ابتليت من صنوف الاستعمار بما لم تبتل به أمة غيرها .. جربت استعمار المماليك وجربت استعمار الاتراك ، وجربت استعمار الانجليز وجربت استعمار الفرنسيين وجربت استعمارا جديدا ابتدعته طائفة من الناس كانت تنتسب بكل أسف الى مصر ... وكانت تعيش بكل أسف فى مصر وعلى أموال مصر .. جربنا استعمار أسرة محمد على ومن لف لفها من الساسة ، والاذناب ..

جربنا كل هذه الانواع والاشكال من الاستعمار ولقينا من كل نوع العذاب والهوان ..

ولهذا فاذا ما أخذنا اليوم نثور ضد هذا الاستعمار فان ثورتنا بحق ثورة ناضجة واعية .. ثورة لن تهدأ ولن تستكين ولن تلين حتى نطرد الاستعمار من كل مكان من هذا الشرق ..

ونحن حقا نتزعم حركة مكافحة الاستعمار لاننا نؤمن ايمانا وثيقا خالصا ، بأن معركة الاستعمار واحدة لا تتجزأ .. ومهما كان ميدان

هذه المعركة ، ومهما كان جنودها فان كل نصر تحرزه معركة الحرية فى مراكش انما يعود على أنصار معركة الحرية فى مصر . . وكل هزيمة تنزل بالاحرار فى تونس انما هى هزيمة للاحرار فى سوريا . .

ولهذا فاننا حريصون كل الحرص على ان يتحد الشرق ضد الاستعمار . . حريصون كل الحرص على ألا توجد ثغرة مهما صغرت فى جبهة مكافحة الاستعمار . . واذا كان أرباب الاستعمار وهم على باطل يتكتلون ، ويتعاونون ، ويساند بعضهم بعضا لما فيه حياة الاستعمار ، وبقاء الاستعمار ، أليس واجبا علينا نحن الضحايا أن نتحد كما يتحد أعداؤنا . . وأليس من الضرورى أن نتعاون جميعا للقضاء على الاستعمار قبل أن يقضى علينا الاستعمار .

نحن حقا فى حالة جديدة من الوعى القومى . . هذه الحالة الجديدة هى بداية البعث الوطنى ، ولهذا فقد أخذ أرباب الاستعمار يتساءلون عن هذه الحالة ويعتبرونها نذير سوء لهم . .

ونحن نقول لهم هنا وفى كل مكان ان هذه الشعوب التى ذاقت مرارة الذل والهوان أجيالا متعاقبة لن تحتمل الصيم بعد اليوم .

وان هذه الشعوب التى أريقت دماؤها على مذبح الحرية عشرات المرات لن تهدأ بعد اليوم . .

ليعلم أرباب الاستعمار . . أن زمن الاستعمار قد ولى وغاب . . وأن المستقبل لهذه الشعوب التى ظلت صابرة طوال هذه الاحقاب تكافح فى صمت . . وتجاهد فى ايمان . .

ليعلم ارباب الاستعمار أن كل جهد يبذل للايقاع بهذه الشعوب فى أحلاف أو معاهدات استعمارية جهد ضائع . . فلتوفر الدول الاستعمارية على نفسها هذا الجهد ولتجابه الحقيقة بالامر الواقع . . ولتتخل عن مكانها الاستعمارى . . ولتحاول أن تبدأ معنا ـ اذا أرادت ـ عهدا جديدا من الحرية والمساواة . .

ونحن دائما مستعدون للعمل على نصرة السلام

ونحن دائما عاملون على احباط كل مناورة من مناورات الاستعمار سياسية كانت هذه المناورة أم اقتصادية . .

والنصر دائما للشعوب المؤمنة . . المكافحة . .

طريق الحرب

السلام يجب ان يتحقق الآن
السلام لعصرنا
والسلام لكل العصور ...
كريشان تشانور

أخذ الفتى الصغير يتطلع الى وجه امه الهزيل وقد زادته مرارة الايام ضعفا واصفرارا ، كما أخذ يتطلع مرة اخرى الى عينيها الغائرتين وكأنهما بقايا تمثال حطمته الاحزان ، ثم اتجه بناظريه مرة ثالثة الى الحائط وقد خلا من تلك الصور التى كانت تزينه فيما عدا صورة صغيرة فى حجم الكارت بوستال ابقت عليها الام للذكرى والتاريخ ، ثم رفع بصره الى السقف فلم يجد به الا لمبة صغيرة لا تكاد تضىء ما حولها ، وحاول الفتى الصغير ان يقارن اثاث منزله أو بالاحرى بقايا ذلك الاثاث ، بما كان لديهم من قبل ، فاتعبته المقارنة ، وراح فى غيبوبة طويلة تذكر فيها الاهل والاقارب الذين كانوا يملأون عليه البيت مرحا وابتساما ، وتذكر تلك الهدايا الثمينة التى كان يحملها اليه ابوه ، واصدقاء ابيه ، وزملاء ابيه كل صباح ، وكل مساء . وتطلع مرة رابعة أو خامسة فلست ادرى الى حذائه الصغير وقد اثقلته الرقع ، والى قميصه الخشن ، وقد خلا من زراير ، والى بنطلونه وقد ضاق بجسمه ، كما ضاقت به وبأمه الايام القاسية ، ثم أخذ يتذكر تلك الآمال الحلوة التى كان يبنيها له ابوه ثم افاق من غيبوبته وراح يتحسس بيديه الرقيقتين وجه امه الحزين الاسيف ، ثم راح يضمها الى صدره بقوة وعنف ، وشوق ولهفة كأنما يخشى ان ينتزعها الموت من بين يديه كما انتزع اباه من قبل ، وراح يتساءل والدموع تحرق مقلتيه ، «هل يعود ؟» وترددت

الام لحظات غير قصيره وسالت نفسها اتصارحه أم تكتم عليه الحقيقة ... لقد كانت فى الماضى تضحك عليه وتقول له : انه ذهب وسيعود ، اما اليوم فلقد كبر الفتى الصغير ، وكبرت معه آلامه واحزانه ، ومن حقه عليها ان تصارحه بالحقيقة المرة ، وتقول له وهى تضغط على شفتيها بقوة وبعنف حتى تكاد تقطعهما : لقد ذهب يا بنى ولن يعود ؟..

نعم لقد ذهب والد ذلك الفتى الصغير ولن يعود ، كما ذهب ملايين من زملائه ولن يعودوا ، وتركوا خلفهم ملايين الاولاد والامهات والازواج يجوعون ، بل يموتون من الجوع ان لم يموتوا من المرض ، وقد ابتلعت الحرب هؤلاء بلا ذنب ولا جريرة ، ذهب هؤلاء ولن يعودا !

وسيذهب غيرهم ولن يعودوا أيضا .

وسيبقى ابناء هؤلاء واولئك وستبقى زوجاتهم وامهاتهم ، وابائهم واقاربهم يفتقدونهم فى الصباح ، كما يفتقدونهم فى المساء ، يفتقدونهم عند ما يحتاجون اليهم ، ويفتقدونهم عند ما لا يحتاجون اليهم بل سيفتقدونهم الى ان يلحقوا بهم ...

سيذهب هؤلاء الابرياء ، وسيتركون خلفهم ملايين الضحاياولن يبق الا اولئك الذين يثيرون الحروب ، ويرقصون على نغمات الموت ، ولا يحيون الا بدماء القتلى .

سيذهب ملايين الضحايا الى الموت ، ولن يبق فى الدنيا الا سماسرة الحروب ، ولصوص الشعوب ، وعبدة المال ...

ستبقى الهة الحرب تشعل الحرب، وتدفع العالم الى اتون الحرب ما دام فى الشعوب حكام صغار يذبحون ابناء أوطانهم ، بأيديهم ويقدمونهم لقمة سائغة لمن اذلوهم ، واستعبدوهم ، وما دام هؤلاء الحكام لا يعرفون الا مصالحهم الخاصة ، ولا يفكرون الا فى كراسى الحكم ...

ستبقى البشرية مهددة بالهلاك والدمار ما لم تعمل الشعوب

بهمة وقوة على ان تقتل كل رغبة فى الحرب ، وتخيب كل أمل فى الحرب ، وتفسد كل خطة يراد بها اشعال نار الحرب ...

أليس من المحزن المؤلم ، ان نقضى زهرة شبابنا تحارب وتقاتل من أجل تحقيق أهداف استعمارية لغيرنا ، ومن أجل هلاكنا وهلاك غيرنا ؟.

اليس من المحزن المؤلم ، ان نقضى زهرة شبابنا نحارب ، ونقاتل ليبقى الطغاة فى الغرب وفى الشرق ؟

أليس من المحزن المؤلم ان نشقى ويشقى ابناؤنا ، وزوجاتنا ، وأمهاتنا وابائنا لكى ينعم الطغاة المستبدون الهة الحرب ، وسماسرة الموت ، وتجار الهلاك والدمار ؟

أليس من المحـــزن المؤلم ان نقضى كل اعمارنا ما بين حـرب واســتعداد للحرب ... نجوع ليأكل الطغـــاة ، ونتعرى ليلبس المستبدون ، ونكتب اليتم لاولادنا والترمل لزوجاتنا ، ثم لا يستفيد من كل ذلك الا الذين يمتصون دماءنا ، ويسلبون حياتنا ..؟

هل ضاقت الارض بنا ، هل غاض خيرها وبرها فلم يعد يكفينا ، هل قضى علينا ان نظل دائما وابدا من خوف الحرب فى حرب ومن خشية الذل فى ذل ؟..

هل قضى علينا ان نظل دائما احجار شطرنج يلعب بها اعداؤنا ؟

هل قضى علينا ان نكون دائما عبيدا لحكام يتنكرون لشعوبهم ويلقون بها تحت ارجل اعدائها .

هل قضى علينا دائما وابدا أن نكون خرافا يقتسمها الامريكيون والانجليز ؟

هل قضى علينا ان نكون دائما وابدا مطايا للاستعمار يسيرنا كما يشاء ...؟

ان تلك الشعوب التى يحكمها طغاة مستبدون كنورى السعيد ومندريس ، وزاهدى ، والتى يجرونها الى الحرب يجب ان تفيق ، ويجب ان تتولى بنفسها القضاء على حكامها ، قبل ان يستفحل الداء،

وقبل ان تقع البشرية فى مذبحة قد تكون فيها نهايتها ...

من اجل ملايين الاطفال الذين حرموا من عاطفة الابوة والذين سيحرمون !

من أجل ملايين الزوجات اللاتى قذفت بهن الحرب الى الطرقات واللاتى سيقذف بهن ...

من أجل ملايين الامهات ، والآباء اللذين فقدوا فلذات اكبادهم والذين سيفقدون ...

من اجل هؤلاء ، جميعا بل من أجلك انت يجب أن توقف عجلة الحرب ، ويجب ان تساهم بكل جهدك لتحقيق السلم .. عندما تموت وعندما يموت ابنك وعندما يموت اخوك ، وعندما تموت اختك ، وعندما تموت امك ، وعند ما يموت ابوك ، بل عند ما تموت اسرتك جميعها ، لن يبكى عليكم نورى السعيد ، واشباه نورى السعيد ، ولن يموت معكم أو من اجلكم نورى السعيد ، واشباه نورى السعيد ...

وعندما تموت وعندما يموت ابنك ، وعندما يموت اخوك وعندما تموت اختك وعندما تموت امك وعندما يموت ابوك ، وعندما تفقد اسرتك لن يفقد نورى السعيد ولا أشباه نورى السعيد نفسه ولا ابنه ، ولا بنته ، ولا امه ولا أباه ، ولا اخته ولا اخاه .. بل سيظل يعيش مترفا كما يعيش اليوم ، وكما يعيش كل داعية من دعاة الحرب وكل اله من الهة الموت وكل ذنب من اذناب الاستعمار ...

أنت الذى ستخسر ولهذا يجب الا تموت ، ولهذا يجب الا يموت ابنك ويجب الا تموت اختك ، ويجب الا تموت امك، ويجب الا يموت اخوك ، ويجب الا يموت ابوك ...

ولهذا يجب ان تحارب كل تكتل يراد به اشعال نار الحرب .

ولهذا يجب ان تحارب كل سياسة للتحالف من شأنها التعجيل بالحرب .

ولهذا يجب أن تقف دائما مع اولئك الذين يسعون بقلوب خالصة مخلصة نحو السلام ... السلام الحقيقى لا السلام الموهوم !!

ذئاب واغنام

اشتدت نيران الحرب بين دولتى الذئاب والاغنام ففكر حكام مملكة الحيوان فى انشاء مجلس يجمع ممثلين للطائفتين المتنازعتين ، يستطيع هذا المجلس بما له من قوة ان يعطى الحق لصاحبه ، وان يوقف المعتدى عند حده ، وان يمنع نشوب حروب جديدة ، وصدر قانون ينص على انه فى حالة الاعتداء على نعجة أو خروف يقوم المعتدى عليه بالقبض على الذئب المعتدى واحضاره الى المجلس ليحاكم امام قضاة من الطرفين ، وصفقت الاغنام وابتهجت ، واقامت الحفلات ابتهاجا بهذا القانون الرحيم ... وتأهبت الاغنام لحياة هادئة ساكنة لا تعرف حربا ، ولا مشاغبة ولا أكلا ، ولا ذبحا ، وجاء وقت تطبيق القانون ، وقامت المشكلة الكبرى مشكلة تنفيذ القانون، هل يستطيع الخروف الضعيف ، ان يقبض على الذئب القوى ، وهل يستطيع اعضاء المجلس من النعاج أن يصوتوا ضد الذئاب وهى صاحبة السلطة ! وهل يمكن ان تتناحر الذئاب فتضعف قوتها وتخرج الاغنام من تحت سلطانها ؟؟ وهل وهل الى آخر هذه « الهلات » التى تساءلها الكاتب الروسى ايفان كريلوف ؟.. لقد كانت وما تزال المشكلة الكبرى : مشكلة الاغنام والذئاب ... الذئاب التى تمثل دائما الدول الكبرى بقوتها ، وجبروتها ، وعدوانها ، وعدم احترامها للحقوق ، والاغنام التى تمثل الدول الصغرى ، فى ضعفها ، « وعبطها » ، وصبرها ، وانقسامها ، وعدم اعتمادها على انفسها فى تسيير امورها ، هذه المشكلة مشكلة الدول الكبرى والدول الصغرى هى أعقد المشاكل منذ ان ظهر التقسيم الدولى للامم ، واقرب هذه المشاكل الينا مشكلة الحرب العالمية الاولى التى تضخمت وكبرت حتى ضاع بسببها ملايين من البشر تركوا أولادا ، وأمهات واباء يبكون عليهم ، وتركوا أوطانا ناشئة ، كانت فى حاجة اليهم .. هذه

المشكلة مشكلة الدول الكبرى والصغرى هى التى أدت الى الحرب ، وهى التى تؤدى دائما الى كل حرب ...

لقد كانت اوربا وافريقية واسيا تحكم فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بطائفة من القوانين والاتفاقات الدولية تستطيع على ضعفها ان تمنع القوى من التهام الضعيف ، وتستطيع لو وجدت النية الخالصة ان تمنع نشوب حرب دولية كانت أم ثنائية ، وكانت الشعوب الصغيرة تحاول ان تحمى نفسها بهذه القوانين ، وتستمد حياتها ووجودها من تلك المعاهدات ، ولم تكن الدول الكبيرة على اختلاف اهدافها ، ومبادئها ، ومطامعها لتمكن الدول الصغيرة من الانتفاع بهذه القوانين أو تلك المعاهدات ، فلم يبق شعب صغير الا واعتدى عليه، ولم تبق دولة صغيرة الا والتهمتها دولة كبيرة ، بل لقد تمادت بعض الدول الكبرى فى تحقيق مطامعها الاستعمارية فاتفقت انجلترا وفرنسا فى معاهدة لندن على انه اذا ما وسعت انجلترا وفرنسا مستعمراتها الافريقية على حساب المانيا ينبغى ان تعطى ايطاليا تعويضا عادلا ... وعندما التهمت فرنسا مراكش غضبت انجلترا وغضبت ايطاليا فابتسمت فرنسا قائلة لانجلترا : لك مطلق الحرية فى مصر .. وقالت لايطاليا : أمامك ليبيا، وامامك الحبشة ومصوع ... واصبحت الدول الكبرى ـ الكبرى فى مطامعها ـ فى حالة « سعر » غير طبيعى ، وتوالت عمليات الاعتداء من جانب الذئاب كما توالت عمليات الاستسلام من جانب النعاج ، ووصلت الشعوب الكبرى والصغرى الى تلك المرحلة التى وصلت اليها مملكة الحيوان عندما اسرفت الذئاب فى التهام النعاج ، وعندها لم تستطع القوانين المعمول بها فى حماية الضعيف .. بل لقد كانت هذه القوانين قوة للقوى ...

واخيرا وصلت الشعوب الكبرى والصغرى الى مرحلة الحرب ... الحرب التى يوقد نيرانها الكبار لتكون فرصة لالتهام الصغار ...

لقد اخذت الدول الكبرى تتأهب للحرب وتسخر كل امكانياتها

للفوز فى هذه الحرب ، وكانت بعض هذه الدول ـ الكبيرة اسما ـ تعقد القروض بالربا الفاحش لتبتاع البنادق والمدافع فى الوقت الذى كانت شعوبها تشكو الجوع ، والعرى ... وبينما كانت بعض الدول تخصص معظم ميزانياتها للحرب لم يكن للتعليم ولا للصحة ، نصيب يذكر فى هذه الميزانيات، ووقفت عجلات الاصلاح فى كل مكان واخذت ماكينات الحرب تعمل ليلا ونهارا بلا انقطاع ، واخذت مودة المحالفات والمعاهدات تتغلب على السياسة الدولية ، ولم تكن هذه المحالفات أو المعاهدات وليدة تشابه فى الاغراض أو المبادىء بل كانت وليدة الاتفاق على التهام الدول الصغرى وحدها ...

وكانت المحالفات ذات سوق تجارية ترتفع اثمان هذه الدولة نظرا لكثرة العروض المقدمة اليها ، وتنخفض اسعار هذه الدولة لان العرض عليها قليل ، وكما نجد اليوم فى الاسواق التجارية ارتفاع الاوراق المالية والاسهم أو انخفاضها كنا نجد هنا أيضا ارتفاع اثمان المحالفات أو انخفاضها ، ولذلك ضعفت قيمة هذه المحالفات خاصة بعد أن عرفت الشعوب الكبيرة والصغيرة انها محالفات لا تعتمد على الخير بل تعتمد على الشر ...

واخذت الدول الكبرى تحاول أن تكسب الى صفها الدول الصغرى لكى تعتمد على ابنائها ، وحاصلاتها، وامكانياتها اذا مانشبت الحرب ولكى تأكلها كلها اذا لم تنشب الحرب . والغريب ان الدول الصغيرة ـ وخاصة تلك التى كانت تحكمها عقلية استبدادية ـ كانت تساق الى هذه المحالفات الاستعمارية دون وعى أو بصيرة ودون نظر الى مصالحها الخاصة كما تساق الاغنام الى « المذبح » سواء بسواء . وتمكنت الدول الكبيرة من ان تخدر الشعوب الصغيرة بمخدرات مملوءة بالوعود والاكاذيب ، حتى وضعت هذه الشعوب كل امكانياتها لخدمة الحرب ، واصبحت « ملكية اكثر من الملك » وغدت هى نفسها التى تغذى الحرب بينما هى الغنيمة التى يتقاتل عليها دعاة الحرب . . وكان الساسة الكبار ـ اسما لا فعلا ـ يتفاوضون على الموائد

الخضراء والحمراء أياما وشهورا بل وسنين وايادیهم على مقابض سيوفهم في انتظار اللحظة الحاسمة، واصبحت اوربا بين يوم وليلة وقد قسمت الى معسكرات عديدة يتزعم كل معسكر دولة أو اكثر من الدول الكبرى التى تضم اليها عددا لا يستهان به من الدول الصغيرة ، ولم تكن تلك المعسكرات تعترف بالفضيلة أو تؤمن بالحق ... بل كانت غارقة فى بحار من الباطل والنفاق ، والظلم والعدوان حتى ليقف قيصر روسيا ذلك المستبد الذى اذل الشعب الروسى ، واذاقه الهوان يقف حاسر الرأس ، وهو يستمع الى نشيد المارسيليز ، نشيد الثورة الفرنسية التى قوضت الاستعباد ... كما يقف غليوم الثانى بدوره فى مأدبة اقامتها بلدية بيروت ليقول وسط موجة من هتاف السذج : أجرد اليوم سيفى للدفاع عن الاسلام ...

ويشتد النزاع بين المانيا وانجلترا حول السيادة البحرية وتنشىء انجلترا ثلاثة بوارج عندما تنشىء المانيا واحدة وذلك لتضمن لنفسها السيادة على البحر ، ولكى يصبح اسطولها أقوى من أى اسطولين فى العالم .. ثم تعمد انجلترا الى محالفة اليابان لاذلال سياسة المانيا فى الشرق الاقصى ، ثم تنضم انجلترا الى فرنسا وروسيا باسم « الوفاق » ثم تطرد تركيا من اوربا، وتتحالف المانيا والنمسا وايطاليا ثم تنسحب ايطاليا من هذا الحلف ، ثم تتحالف فرنسا وروسيا معا مرة اخرى ضد المانيا وكانت خريطة المحالفات الاوربية تتغير وتتبدل تبعا لفصول العام ، والدول الصغرى منقادة لا تعرف ماذا يدور حولها ، بل ماذا يدور من اجلها ، والدول الكبرى لا هدف لها الا الحرب ... الحرب دفاعا عما تملك والحرب لانماء ما تملك ...

ثم كان ان ازدادت الرغبة فى الحرب من جانب الدول الكبيرة ، وضعفت مقاومة الحرب من جانب الدول الصغيرة ...

وانطلقت شرارة الحرب العالمية الاولى لسبب تافه هو اعتداء شاب صربى على ولى عهد النمسا فرديناند وزوجه ، وعبثا حاول

دعاة السلم تأجيل نشوب الكارثة ، ولو الى أجل مسمى غير ان كبرياء النمسا لم يقبل اعتداء دويلة صغيرة على ولى عهدها .. وتكهرب الجو ، عندما ارسلت النمسا انذارها الشديد الى الصرب فى ٢٣ يوليه سنة ١٩١٤ وطلبت فيه الاشتراك فى التحقيق الذى يجرى فى الصرب للبحث عن الجناة ، واعتبرت دول الحلفاء هذا الطلب ماسا باستقلال الصرب فى الوقت الذى ترددت فيه الصرب بين القبول والرفض وقامت روسيا القيصرية وقعدت ... وتأهبت المانيا للقيام بدور الوسيط ، تظاهرا منها بالرغبة فى السلام ، وفى الوقت الذى تبودلت فيه برقيات عاطفية بين غليوم الثانى امبراطور المانيا وبين نقولا قيصر روسيا كانت كل المعدات اللازمة لاشعال نيران الحرب قد تمت .

وهبت النمسا تثأر لولى عهدها من الصرب ، وقامت روسيا تدافع عن صربيا ، واخذت المانيا تغزو فرنسا وتحتل بلجيكا ، ودخلت انجلترا الحرب دفاعا عن كيانها ، وانفجر البركان الاوربى ولم يهدأ الا بعد أربعة أعوام وثلاثة أشهر ولم يكن الويل للمغلوب بل كان الويل أيضا للغالب .

كان الويل للبشرية جميعها التى افتقدت عدة ملايين من الضحايا الابرياء الذين راحوا ضحية الجشع الاستعمارى ...

كان الويل للشعوب جميعا التى لم تعرف كيف تحقق السلام .. وكيف تقضى على دعاة الحروب ...

ثيران بيضاء

وقف الدكتور ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة أمام قبر الرئيس واشنطون فى مونت فرنون يوم ٤ يوليه سنة ١٩١٨ يقول : ان الامم المتحدة تحارب من أجل اغراض لا يتم السلام الا اذا تحققت منها تسوية جميع المشاكل سواء كانت متعلقة بالاراضى أو بالسيادة أو بالعلاقات السياسية لا يجوز ان تقوم الا على اساس قبول تلك التسوية قبولا اختياريا محضا من جانب الشعب صاحب الشأن لا على أساس المصلحة المادية أو المنفعة التى تعود على أية أمة أو شعب آخر يرغب فى تسوية اخرى لفائدة نفوذه وسيادته نحن لا نبغى سوى سيادة الحق القائمة على رضا المحكومين انفسهم تلك السيادة التى يؤيدها الرأى العام المنظم ...

لقد انقضى عهد الفتوحات والتوسعات ومضى ، واصبح لكل أمة تتفق امالها مع العدل وسلام العالم ان تصرح الان أو فى وقت من الاوقات بالاغراض التى تصبو اليها وان العدل اذا لم يمنح لكل الامم فلا يمكن لامريكا أن تحصل عليه أيضا وان دعائم العدل الدولى يجب ان ترتكز على مبدأ تقرير العدل بالنسبة للشعوب قاطبة ، ولكل الجنسيات لا فرق بين قويها وضعيفها ، والا فان هذه الدعائم تنهار ولا يبقى أثر لشىء منها ... ان الامانى القوية يجب ان تحترم ولا يجوز ان تساد الشعوب أو تحكم الا بمحض ارادتها » ..

فى نوفمبر سنة ١٩١٨ اصدرت بريطانيا وفرنسا تصريحا مشتركا ايدته دول الحلفاء جاء فيه :«ان الغرض الذى ترمى اليه بريطانيا العظمى وفرنسا بمواصلتهما فى الشرق تلك الحرب التى آثارها الطمع الالمانى، هو تحرير تلك الشعوب التى طالما ظلمها الترك تحريرا نهائيا وتأسيس حكومات وادارات أهلية تبنى سلطتها على اختيار الاهلين لها اختيارا حرا وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم وتنفيذا لهذه النيات قد حصل

الاتفاق على تشجيع العمل لتاسيس حكومات وادارات أهلية فى سورية « وكانت تشمل سورية ولبنان وفلسطين » والعراق اللتين اتم الحلفاء تحريرها وفى البلاد التى يواصلون العمل لتحريرها على مساعدة هذه الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها ، فعلا ، والحلفاء بعيدون عن ان يرغموا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين وانما همهم ان يحققوا بمعونتهم ومساعدتهم الناقصة حركة الحكومات والادارات التى ينشئها الاهالى لانفسهم مختارين حركة منتظمة وان يضمنوا لهم قضاء عادلا واحدا للجميع وان يسهلوا انتشار العلم فى البلاد وتقدمها اقتصاديا وذلك بتحريك همم الاهالى وتشجيعها وان يزيلوا الخلاف والتفريق الذى طالما استخدمته السياسة التركية ».

* * *

ذلك هو ما اخذت الحكومتان الحليفتان على نفسيها القيام به فى البلاد المحررة ولم يكد يجف مداد هذا العهد الذى قطعه الحلفاء على انفسهم ولم يكد ويلسون يستريح من عناء الخطاب الذى القاه أمام قبر واشنطون حتى كانت الحرب العالمية الاولى قد وضعت أوزارها، وتأهبت الدول الصغيرة التى حالفت الحلفاء ، ووقفت الى جانبهم فى ساعة المحنة تمدهم بأبنائها واموالها تتأهب للحرية .. غير أن الدول الكبرى ـ كعادتها ـ تنكرت للدول الصغرى ونسيت كل ما قدمته لها من مساعدات .. ان مصر التى ضحت بأكثر من مليون من ابنائها ، وبعشرات الملايين من الجنيهات ، وسخرت أرضها ، وسماءها ، وكل مكان فيها لخدمة انجلترا وحلفاء انجلترا فكان نصيبها المشانق للأحرار ، والسجون للمجاهدين ، واخذت امريكا نصيرة الحرية ـ باعتبار ما كان ـ تصفق لانجلترا متحمسة ، داعية .. وعادت العقلية الاستعمارية تتطلع الى ابناء افريقية ، وابناء اسيا ، كما يتطلع الذئب الى الحمل .

وارتدت الدول الكبرى اردية جديدة من الاستعمار المقنع الذى يكمن وراء الفاظ الانتداب والوصاية ، وآمنت انجلترا وفرنسا من جديد كما آمن مونتسكيو من قبل فى كتابه روح القوانين من ان

شعوب اوربا بعد ان افنت سكان امريكا الاصليين لم تر بدا من ان تستعبد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الاقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ـ الشعوب الملونة ـ ما هى الا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم الى قمة الرأس ، وانفها افطس فطسا شنيعا بحيث يكاد ان يكون من المستحيل ان ترثى لها ولا يمكن للمرء ان يتصور ان الله سبحانه وتعالى وهو ذو الحكمة السامية قد وضع روحا ـ وعلى الاخص روحا طيبة ـ فى داخل جسم حالك السواد » ..

* * *

لقد رأينا البذرة الشريرة ـ بذرة الاستعمار ـ تنمو وتتكاثر بعد الحرب العالمية الاولى وخاصة فى افريقية واسيا اذ اخذت فرنسا كما اخذت انجلترا تبتعدان عن القارة الاوربية، وتتجهان بنشاطهما الاستعمارى الى ما وراء البحار لان المسرح الاوربى كما يقول الدكتور محمد عوض محمد واقع تحت سمع العالم وبصره ، وتتعرض فيه السياسة الاستعمارية للمؤاخذة الشديدة ، مع ان فى الاقطار البعيدة عن اوربا ميدانا أوسع ومجالا أرحب ، وتجنبا للنقد واللوم ، اما المانيا فلم تكن ممن يهمه مثل هذه الاعتبارات ، وهى على كل حال لهم تفعل اكثر من ان اتبعت فى اواسط وشرق اوروبا نفس الاساليب والخطط التى سادت عليها الدول الاستعمارية فى قارتى اسيا وافريقية وكأنما ارادت ان تذهب فى التقليد الى ابعد مدى فلم تحاول ان تبتكر اسماء أو مصطلحات جديدة بل أطلقت على بلاد تشيكوسلوفاكيا بعد ضمها فى مارس سنة ٣٩ اسم حماية بوهيميا مورافيا ولو منحت المانيا فسحة من الوقت لجعلت من بلاد المجر ويوغوسلافيا ورومانيا وبولنده ودانمركه حمايات اخرى » .

وفى مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ « انقضت الدول المنتصرة على توزيع الاسلاب بينها وخرجت بريطانيا وفرنسا من هذا التوزيع بنصيب الاسد واختصت اليابان بجزر المحيط الهادى ماعدا

جزيرة ساموا التى تركت لزيلندة الجديدة ، وتكفلت استراليا بادارة الجزء الالمانى من جزيرة غينيا الجديدة وطلبت بلجيكا ان يكون لها نصيب من هذه الاسلاب فأعطيت على سبيل جبر الخاطر قطعة أرض من شرق افريقية الالمانى ، اما ايطاليا فلم تعط شيئا مطلقا وخرجت من المؤتمر صفر اليدين مع انه عقد فى أرضها وتحت سمائها الجميلة وبعد ان تمت عملية التوزيع بدأت عملية « الاكل والهضم » . اما فرنسا فلكى تضمن مكانتها فى سورية ولبنان فقد أخذت تقمع الحركة الوطنية فى البلدين ، ثم نزلت عن اقليم قليقية لتركيا عام ١٩٢٠ ثم عادت فنزلت لها أيضا عن سنجق الاسكندرونة وهما من صميم الوطن السورى .

أما انجلترا فقد عادت الى سياستها القديمة سياسة المعاهدات والمحالفات : تعطى بعض الشىء ، وتأخذ كل شىء ... وتعترف بالاستقلال والحرية فى الوقت الذى تحاول فيه القضاء على الاستقلال والحرية ... وترسل انجلترا الى العراق جيشا بقيادة سير ايلمر هولدين ليقمع الحركة الوطنية فى العراق .. وليضمن بقاء الاستعمار البريطانى فى العراق أيضا ...

وفى فلسطين وضعت انجلترا يدها على كل شىء ونسيت الوعود التى منحتها للعرب ، وادخلت اليهود لانجاح سياسة التفريق التى تستطيع انجلترا بموجبها ان تسيطر على كل بلد .

واخذت فرنسا تقمع الحركة الوطنية فى تونس ، والجزائر ومراكش وتستخدم فى سبيل ذلك الاساليب البربرية التى لا مثيل لها فى التاريخ كما اخذت ايطاليا هى الاخرى تنافس فرنسا فى ليبيا فى سياسة القمع .

* * *

وتساءلت الشعوب المحبة للحرية ، الشعوب التى ضحت بالمال والانفس الى جانب الحلفاء ... أين مبدأ تقرير المصير ؟ أين هى الوعود التى بذلت وقت الحرب ؟ أين الثمن الذى تحالفت بسببه الشعوب الصغيرة مع الدول الكبيرة ؟ واخيرا جاءها الرد لقد اخذت الدول الاستعمارية فى القضاء على الروح الوطنية المنبعثة فى تلك

الشعوب فلما لم تستطع وسائلها البربرية لجأت الى الاسلوب القديم اسلوب الحرب فلا شيء سوى الحرب ـ فى نظر الاستعمار ـ يلهى الشعوب عن المطالبة بحقوقها وبدأ الاستعداد للحرب !.

وكانت المانيا قد بدأت تظهر على مسرح السياسة الدولية ، فتحطم معاهدة فرساى .. ثم تعتدى على اتفاقية لوكارنو .. ثم تمزق القيود التى قيدها بها الحلفاء ، وترميها فى وجوههم قيدا أثر قيد ... واخذت انجلترا تلعب على الحبلين : حبل المانيا ، وحبل فرنسا وامريكا ـ وتأكل على المائدتين مائدة النازية والفاشية ومائدة الديموقراطية ! ثم اخذت تتفق مع المانيا على توقيع معاهدة بحرية بمقتضاها لا يزيد الاسطول الالمانى عن ٣٥ ٪ من الاسطول الانجليزى ، وتوقع هذه المعاهدة سرا حتى لا تعلم ايطاليا ولافرنسا بل ولاعصبة الامم بها.. ثم اخذت التكتلات الدولية تظهر على المسرح فمن محور روما برلين طوكيو الى اتفاق « عدم الاعتداء » الى الاتفاق الصغير « تشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، ويوغوسلافيا » الى اتفاق دول البلقان ، الى المحالفات العسكرية بين يوغوسلافيا ورومانيا واليونان، الى المعاهدة الفرنسية الروسية .

ولم يكد عام ١٩٣٦ ينتهى حتى كان كل شيء قد أعد لاستئناف الحرب من جديد ...

هاجمت ايطاليا الحبشة فلما أوشكت ان تنهزم خشيت فرنسا وانجلترا هزيمتها ، فكان اتفاق صمويل هور و « لافال » لصالح ايطاليا ... وثار الرأى العام البريطانى على هذا الاتفاق ، وفشلت عصبة الامم فى فرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، لان الدول الكبرى كفرنسا وايطاليا كانت تمد ايطاليا بما تحتاجه ثم ابتلعت ايطاليا الحبشة ... كما ابتلعت المانيا الراين والسار ، والنمسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وعبثا حاولت هذه الدول الصغيرة الاستنجاد بحلفائها ، ولما لم يقع عدوان مباشر على المصالح الانجليزية أو الفرنسية ، فلقد تباطأت فرنسا وانجلترا فى نصرة تلك الدول

الصغيرة التى اخسنت الظن بالحلفاء فكان مصيرها زوالها من خريطة اوربا زوالا تاما .. ثم اعتدت المانيا على بولندا ... وبدأت انجلترا وفرنسا تحسان بالخطر على مصالحهما الخاصة فدخلتا الحرب ...

وحاولت الدول الصغيرة منع وقوع الحرب ، ولكن كان الوقت قد فات ...

لقد اخذت الدول الصغرى تسقط واحدة بعد الاخرى .. كما اخذت جيوش الظلم والعدوان تجتاح الدول الضعيفة المسالمة وحاولت بعض هذه الدول مرة اخرى انقاذ ما يمكن انقاذه .. ولكنها كانت قد اكلت يوم اكل الثور الابيض ...

وقصة الثور الابيض : قصة أسد هزيل ضعيف كان يعيش مع ثلاثة اثوار اقوياء فى اجمة ، وكان لا يستطيع ان ينال شيئا منها وذات يوم قال الاسد للثور الاحمر ، وللثور الرمادى ان لونى على لونكما ولا يفضحنا فى اجمتنا هذه الا الثور الابيض فلو تركتمانى اكله لصفت لنا الاجمة وقال الثوران : دونك فكله . وبعد اسابيع عاد الاسد الى الثور الاحمر وقال له ان لونى على لونك ولا يفضحنا فى اجمتنا هذه الا الثور الرمادى فلو تركتنى آكله لصفت لنا الاجمة وقال الثور الاحمر : دونك فكله .. وبعد اسبوع عاد الاسد الى الثور الاحمر قائلا : انى آكلك لا محالة فقال الثور الاحمر : انما اكلت يوم اكل الثور الابيض ..

وهكذا كانت الدول الصغيرة ، المسالمة اثوارا بيضاء .. افترستها الدول الكبرى واحدة وراء الاخرى وكانت فى استطاعتها ان تكون عاملا من عوامل السلام ولكنها لم تفعل .. فضاعت وضاع معها السلام .

العراق فى سجنه الكبير

يا رب من لبـــلاد ما لها احد !
يا رب من لرجال ما بهم رجـل !
رضا الشبيبى

انا ـ ودائما اكره لفظ أنا ـ اشـد ما أكون ايمانا بالعـراق ، وقرب نهاية الاستعمار فى العراق ، واذا كان رجل الاستعمار الاول فى العراق قد نجح فى ان يكبل الشعب العراقى بقيود من الاضطهاد والتعذيب، واذا كان نورى السعيد قدنجح فى أن يخلق برلمانفىالعراق كبرلمان اسماعيل صدقى فى مصر .. واذا كان الاستعمارى الاول قد نجح فى أن يقضى على الصـحافة فى العراق ، والديمقراطيـة فى العراق والاحزاب فى العراق ، واذا كان عون الاستعمار الاول قد نجح فى ان يملأ السجون بالاحرار ، ويكمم افواه الشعب بالحديد والنار ، واذا كان نورى السعيد قد نجح فى أن يجعل من أرض العراق سجنا ضخما لشـعب العراق ، اذا كان كل هـذا قد حصـل بمعـونة الانجليز ، واذناب الانجلـيز ، فان النهاية ليست على الاطـلاق لصالح الانجليز أو اذناب الانجليز . .

العراق بلد يمتاز بعروبته الصادقة ، بلد تتجلى فيه كل صفات الشعوب المشتاقة الى الحرية ، التواقة الى الديمقراطية .

العراق بلد قد لقى الهـوان والعذاب من الاسـتعمار واذناب الاستعمار . العراق بلد غنى بحيويته ، معروف ، بصبره وتحمله ، يصبر طويلا حتى ليظن المتشائمون انه قد مات ، ثم اذا به لا يموت ـ ومحال ان يموت لان الشعوب لا تموت ـ بل يظهر على المسرح اقوى ما يكون ، واعنف ما يكون ... ولهذا فانى اكاد أرى مسـتقبل الاستعمار فى العراق رأى العين ، اراه وقد انهار ، وتهدم على رءوس اصحابه ، اراه وقد تغلب على كل القوى الرجعية التى تحـاول ان

تكتم انفاسه ، أراه وقد ثار ـ شعبا وجيشا ـ على دعاة الاستعمار ، وجنود الاستعمار ...

اراه وقد ضرب المثل الاعلى للشعوب المستعبدة التى تصبر طويلا والتى تبلغ الذروة فى الانتقام .

اراه وقد نفض عن نفسه هذا الكابوس الثقيل الذى ظل يحكمه امدا طويلا من الدهر .

اراه وقد حطم تلك القيود التى حاول ان يربطه بها الاستعمار واعوان الاستعمار .

اراه وقد خرج من سجنه الكبير ، ليدخل فيه اولئك الذين استعبدوه ، واذلوه وحاولوا القضاء عليه .

اراه وقد تحرر من كل قيد ، واعاد الى ابنائه الحرية والكرامة والعزة والديمقراطية ...

اراه وقد انتقم من اولئك الذين ارادوا له الموت ، فتولى هو بنفسه تنفيذ الموت فيهم وفى اعوانهم ...

اراه كما ارى كل شىء امامى ، ثائرا ينام باحدى عينيه وعينه الاخرى لا تنام . أرى الشعب العراقى وقد ازاح الكابوس « النورى » وتقدم الشعوب المكافحة ، المناضلة ، العاملة على تحقيق السلام .

ان فى العراق شعبا .. وان فى العراق جيشا ، وان فى العراق لثورة مكبوتة ستظهر ، وروحا قوية ستكتسح كل اذناب الاستعمار .

* * *

لقد ذاق الشعب العراقى الهوان من الحكم التركى ، حيث اقطع سلاطين الاتراك باشواتهم وجواريهم واعوانهم كل أرض العراق ، وحيث حكموا العراق حكما عرفيا لا مثيل له فى التاريخ حتى لقد كان المفكرون من ابناء العراق يغتالون فى السجون والشوارع والطرقات وحتى لقد زاد عدد المنفيين من العراقيين الى بلاد الاناضول ، على الالوف ، وحتى لقد كان الاتراك يمثلون بالجثث التى اعدموا اصحابها ، وينبشون قبورهم نكاية فيهم وفى اهليهم .. فلما قامت الحرب العالمية الاولى ثار العراق كما ثار ابناء الدولة العربية

الاخـرى ـ على الحكم التركى الفاسـد المتعفن ـ وانتهز الانجليز الفرصة فجذبوا اليهم الشريف حسين وابنائه الاربعة : على وعبدالله وفيصل وزيد ، اولئك الـذين قادوا الثورة العربية الكبرى ضـد الاتراك : اعداؤنا ـ كما قال فيصل ملك العراق السـابق فى احد منشوراته ـ واعداء وطننا .

* * *

وانتهت الحرب بانتصار العرب ، فهل حفظ الانجليز للعرب هذا الدور الكفاحى الرائع ؟ كلا لقـد كذبوا كعادتهم وكان كذبهم هـذه المرة ، اضخم وأكبر !! وكان القائد الانجليزى « مود » قد اذاع عقب احتلاله بغداد « ان الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع ، وجيوشنا لم تدخـل مدنكم وارضكم بمنزلة قاهرين أو اعداء بل بمنزلة محررين ... لقد خضع مواطنوكم منذ أجيال لهؤلاء الغرباء ، فتخربت قصـوركم ، وتجردت حدائقكم وانت اشخاصكم من جور الاسترفاق ولقد سيق ابناؤكم الى حرب لم تنشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها فى اصقاع شاسعة ... ان بريطانيا وحلفاءها مصممون على الا يذهب ماقاساه هؤلاء العرب الشرفاء هباء منثورا وتأمل الامم المتحالفة ان تسـمو الامة العربية مرة اخرى عظمة وصيتا ، وان تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوئام .. تذكروا انكم يا أهل بغداد تألمتم مدة ستة وعشرين جيلا اذاكم الظلمة الغرباء الذين سعوا ابدا الى الايقاع بين البيت والبيت لكى يستفيدوا من انشقاكم ، فهذه السياسـة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها اذ انه حيث تسود العداوة وسـوء الحكم لا يستقيم سلام ولا فلاح ... »

ويظهر ان الساسة الانجليز كانوا من اشد الناس اعجابا بالحكم التركى فلقد اخذوا ينفذون السياسة التركية بحذافيرها .. سياسة فرق تسد . سياسة تجريد العراقيين من ثروتهم ، سياسة القضاء

على الحركة الوطنية فى العراق ... وثار شعب العراق ثورة سلمية دامية خسرت انجلترا واذنابها فيها ٢٢٦٩ قتيلا وجريحا... وخسر العراق الابى ٨٤٥٠ ما بين قتيل وجريح ، وعجلت انجلترا بارسال برسى كوكس المندوب السامى البريطانى لكى يعجل بتنفيذ رغبات الشعب العراقى اسما ، وليعمل على تأجيل تنفيذ رغبات الشعب العراقى فعلا ...

وكان فيصل وقد اصبح ملكا على العراق قد قال لشعبه : « امهلونى اربعة أعوام اعطيكم عمل اربعة اجيال » ويظهر ان فيصل كان حسن النية جدا فيما يتعلق بالسياسة الانجليزية فنسى كل ما يمكن ان تضعه السياسة الانجليزية امامه من عراقيل ...

وبدأ الملك يعمل ، وبدأ شعب العراق يعمل ، وبدأ الاحتلال الانجليزى أيضا يعمل ، وكانت النتيجة ان شجع الانجليز على قيام احزاب انتهازية تستند الى الاحتلال الانجليزى ، وكان النتيجة ان نجح الانجليز فى اثارة الاكراد ، وكانت النتيجة ان حكومة العراق اشرفت على الافلاس ... وضاعت امنيات الملك وسط دوامة من الصراع الانجليزى القاتل ... غير ان شعب العراق ـ وهو شعب عربى فى مجموعه وفى تصميمه ـ ثار على الاستعمار الانجليزى ثورة دامية ... وجندت انجلترا كل قواتها فى العراق لتربط الشعب العراقى بمعاهدة مشابهة لمعاهدة ١٩٣٦ وعرضت المعاهدة على الشعب عام ١٩٢٢ وثار الشعب ضد المعاهدة وحاول الشعب مقاطعة الانتخابات التى اريد من ورائها تأليف جمعية تأسيسية تصدق على المعاهدة ، وكان الملك يطوف بنفسه فى بعض الجهات ليحاول اقناع الشعب بالعدول عن مقاطعة الانتخابات ، واتفق فيصل مع زعماء العراق على ان يتزعم ياس باشا الهاشمى معارضة المعاهدة وان يرأس نورى السعيد وزير الدفاع الفريق المؤيد، ودعى المجلس على عجل، ورفض المعاهدة ٢٤ عضوا وقبلها ٣٧ واعتذر ثمانية عن ابداء ارائهم !!

واجبر الشعب العراقى على قبول المعاهدة وثار الشعب مرة اخرى ضد المعاهدة وكان يرأس الوزارة عبدالمحسن سعدون وهاجمه النواب طالبين تعديل المعاهدة ، وحاول اقناعهم بالتأجيل فهاجموه ، بعنف ، فعاد الى بيته مهموما ... ثم اذا به يكتب رسالة الى ابنه على يقول فيها :

ولدى وعينى ومستندى :

اعف عنى لما ارتكبته من جناية ، فقد سئمت هذه الحياة التى لم أجد فيها لذة ولا ذوقا ولا شرفا .. الامة تنتظر خدمة والانجليز لا يوافقون ... ليس لى ظهير ... العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون ، بعيدون كثيرا عن الاستقلال وهم عاجزون عن تقدير نصائح ارباب الناموس امثالى ، يظنون انى خائن للوطن ، ما أعظم هذه المصيبة انا الفدائى الاشد اخلاصا لوطنى ، لقد كابدت انواع المهانات وتحملت المذلات فى سبيل هذه البقعة المباركة التى عاش فيها ابائى واجدادى مرفهين ...

ولدى .

ـ نصيحتى الاخيرة لك هى :

١ ـ ان ترحم اخوتك الصغار الذى سيبقون يتامى، وتحترم والدتك، وتخلص لوطنك .

٢ ـ ان تخلص للملك فيصل وذريته اخلاصا مطلقا ..

اعف عنى ياولدى على :

عبد المحسن السعدون

وهز هذا الحادث كل ضمير عراقى ، بل كل ضمير فى جميع انحاء العالم الا ضميرا واحدا هو ضمير نورى السعيد الذى اجرى تعديل المعاهدة العراقية الانجليزية ضد مايريده الشعب العراقى ، وضد ما كان يريده القتيل عبد المحسن السعدون.

لقد وقع نورى السعيد التعديل الرابع للمعاهدة فى سنة ١٩٣٠ ولم يكن أحد من العراقيين ليجرؤ على هذا التعديل بهذه الصورة

التى تكبل شعب العراق لقد شملت حالة الحرب واخطار الحرب ، كما شملت تحالفا دائما مع السادة الانجليز . . سادة نورى السعيد، واشباه نورى السعيد . . .

ونصت المادة الرابعة على انه اذا اشتبك احد الفريقين الساميين المتعاقدين فى حرب يبادر حينئذ الفريق السامى المتعاقد الاخر فورا الى معونته بصفة كونه حليفا . وفى حالة خطر حرب محدق يبادر الفريقان الساميان فورا الى توجيه المساعى فى اتخاذ تدابير الدفاع الواجبة ، وان معونة صاحب الجلالة ملك العراق فى حالة حرب أو خطر حرب محدق تنحصر فى ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية فى الاراضى العراقية جميع ما فى وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر ، والموانىء والمطارات ووسائل المواصلات .

واتمت المادة الخامسة الالتزامات العسكرية فقالت :

ـ تسهيلا للقيام بتعهدات صاحب الجلالة البريطانية وفقا للمادة الرابعة يتعهد جلالة ملك العراق بان يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية فى البصرة أو فى جوارها وموقعا واحدا لقاعدة جوية ينتقيه صاحب الجلالة البريطانية فى غرب الفرات . .

واعطى للقوات البريطانية العسكرية حق المرور فى أرض العراق على أن تقدم لها التسهيلات اللازمة .

وبالرغم من ان شعب العراق حاول مرات كثيرة محاولات دامية للتخلص من هذه المعاهدة الا أن الاستعمار الانجليزى كان يجد دائما يدا كيد نورى السعيد تبطش به وتحاول القضاء عليه ، فيعمد الشعب العراقى الى الصبر . . .

قصة الحلف العراقى التركى

لست ادرى لماذا قفزت الى ذهنى - وانا اكتب هذا الفصل - قصة ذلك التركى الذى افتقر بعد غنى ، وخلا منزله من الخدم والحشم ، واصبح غير قادر على ان يشبع طبيعته من حب للعظمة ، ورغبة فى السيطرة ، وشوق الى التحكم ، وساءت حالته ، وأظلمت حياته ، وأصبح بين الموت والحياة ، واخيرا هداه تفكيره « الصافى » الى اشباع هوايته عن طريق اخر غير طريق الخدم والحشم ، فاشترى بضع عشرة قلة وملأها بالماء ، ووضعها امام بيته وسحب كرسيا بقى له « من ايام العز » وجلس واضعا ساقا فوق الاخرى ، شامخا بأنفه الى السماء . حتى اذا ما جاء أحد ليشرب من القلل الموضوعة على الارض وقف وقفة كلها كبرياء ثم قال : سيب دى ، وخد دى ، واذا ما جاء اخر ليشرب من أية قلة أمره صاحبنا بان يشرب من قلة اخرى .. وهكذا استراح صديقنا التركى وأصبح يقضى يومه وجزءا كبيرا من ليله آمرا ناهيا ... واستراح ذهنه ، وهدأ باله ، وتحسنت أحواله ، وتمكن من ارضاء غروره وكبريائه ...

ذكرتنى تلك القصة بالسياسة التركية الحديثة ، فتركيا كانت فيما مضى دولة تعد ضمن الدول الخمس الكبرى ، وكانت تحكم معظم دول البلقان ومعظم دول الشرق الاوسط ، وكانت لها امبراطوريتها الواسعة ، ثم صفيت هذه الامبراطورية ولم يعد لتركيا الا تلك الرقعة الضيقة من الاناضول ، ولكن الحنين الى الماضى يعاود الساسة الاتراك ، ولهذا فهم يحاولون ان يتدخلوا فى شئون الغير ، وهم يحاولون دائما ان يسيروا فى ركاب الدول الكبرى علهم يرضون كبرياءهم وغرورهم ، والساسة الاتراك من فرط ضعفهم ومن فرط خوفهم على مستقبل انفسهم لا يفكرون الا فى مصالحهم الخاصة ،

فاذا ما اضطرت انجلترا تحت تأثير يقظة الشعب المصرى الى الجلاء ثارت تركيا والحت على انجلترا الا تقبل مبدأ الجلاء.. واذا ما ارادت انجلترا وفرنسا وامريكا عرض بعض المشروعات الاستعمارية على الدول العربية حشرت تركيا نفسها حشرا بين هذه الدول ، واذا تأسست دولة اسرائيل ، واصبح لها كيانها الواقعى سارعت تركيا الى الاعتراف بها ، والتعامل واياها ، وضربت بدينها ، وقوميتها ، وتقاليدها ، ومصالح جيرانها عرض الحائط ولم تفكر الا فى هذه الدولة الناشئة فقد تنقذها من الازمة الاقتصادية التى تعانيها . تركيا اذن تشعر بمركب نقص ، كما تشعر بتفاهتها فى السياسة الدولية فهى تحاول جهد استطاعتها أن تعطى نفسها اكثر ما تستحق وهى تحاول ان تظهر دائما بمظهر الدولة القوية التى يعمل الكثيرون على خطب ودها . . . ولكنها دائما لا تنجح فى تظاهرها لان الشعوب قد اصبحت أكثر حذرا ويقظة وفهما للسياسة التركية .

* * *

عند ما تقدم جفرسون كافرى سفير الولايات المتحدة ، ورالف سكرين ستيفنسون سفير انجلترا وموريس كوف دى مورفيل سفير فرنسا فى مصر الى وزارة الخارجية بمقترحات خاصة بالدفاع المشترك الح خلوصى فؤاد طوغاى سفير تركيا فى مصر على ان يشترك مع السفراء الثلاثة فى هذه المظاهرة الوقحة التى اريد بها ايهام مصر بان « الدفاع عنها له نفس الاهمية الحيوية لسائر الدول الديمقراطية، كما انه لا يمكن ضمان الدفاع عن مصر وعن البلدان الاخرى فى الشرق الاوسط الا بالتعاون بين جميع الدول المختصة ، ولا يمكن ضمان الدفاع عن مصر الا بالدفاع الفعال عن منطقة الشرق الاوسط ، وبتنسيق هذا الدفاع مع الدفاع عن المناطق المجاورة » ..

وترك السفراء الثلاثة ـ ومعهم سفير تركيا ـ مذكرة ضافية ضمنوها الرغبة فى انشاء قيادة متحالفة للشرق الاوسط تشترك فيها الدول التى لها القدرة على الاشتراك فى الدفاع عن المنطقة، والى جانب هذه الرغبة استعداد امريكا وفرنسا وتركيا وانجلترا للاشتراك مع

الدول الاخرى صاحبة الشأن فى انشاء مثل هذه القيادة .

ورفضت مصر كما رفضت بقية الدول العربية هذه العروض التى تتعارض واستقلالها .

رفضت مصر وبقيـــة البلاد العربية امداد القوات المتحالفـــة بالتسهيلات الاستراتيجية ، كما رفضت الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط . . . رفضت مصر والبلاد العربية كل قيد يحد من حريتها . . وبقيت انجلترا وفرنسا ، وامريكا ـ ومعهم تركيا ـ تحاول جر الشعوب العربية الى سياسة الدمار . .

وكان ساسة هذه الدول العربية رغبةفى مجاراة الشعوب يرفضون هذه الاحلاف اللهم الا سياسيا واحدا خرج على الاجماع ، وفضل ان يسير وحده فى سياسة انتحارية ستودى به قبـــل ان تودى بشعبه . . كان هذا السياسى الشاذ هو السيد نورى السعبد الذى أخذ يعد العدة من ثلاث سنوات لهذا الانقلاب الجديد . . .

لقد أخذ يمهد لحكم عرفى فظيع فى العراق .

أخذ يمهد لبرلمان زائف فى العراق .

أخذ يمهد للقضاء على الاحزاب الوطنية فى العراق .

أخذ يمهد لتكبيل الشعب العراقى بقيود لم تعرفها وحشـــية القرون الوسطى .

ونجح فى تمكين الحكم العرفى ، ونجح فى اقامة برلمان زائف نجح فيه ١٢٨ نائبا بالتزكية وانتخب اثنان فقط . . .

نجح فى القضاء على الصحافة .

نجح فى القضاء على الاحزاب .

نجح فى القضاء على النقابات والهيئات .

نجح فى ان يدخل شعبا بأسره داخل سجن كبير . .

وبعد ذلك اخذ يتفاوض مع الساسة الاتراك ، وسرعان ما اتفق نورى مع مندريس .

وقامت الدول العربية تحتج ، وقال نورى السعيد : يستحيل

« ان اعقد حلفا قبل ان استشير الدول العربية » ..

وثار الحريصون على جامعة الدول العربية يتهمون ساسة العراق بالخروج على مواثيق الدول العربية ، وقال نورى السعيد ، لم يحدث أن ارتبطت مع تركيا بأى ميثاق .. كرر هذا القول فى مصر وكرره فى كل بلد عربى زاره ، فى الوقت الذى كان يكذب فيه على توفيق السويدى وصالح جبر، وغيرهما من زعماء العراق ويقول لهم : لقد اتفقت مع مصر على الارتباط مع تركيا بحلف ، ثم قال ان نهرو قد نصحه بالتحالف مع تركيا ...

واكتشفت سياسة نورى السعيد ، واضطر الى مواجهة الرأى العام بالحقائق المرة .. وعرف زعماء العراق ان نورى السعيد كذب عليهم ... وقالت مصر انها لم تتفق مع نورى السعيد على عمل تحالف ... ونفى نهرو انه قدم نصيحة للسيد نورى السعيد ...

وثارت الدول العربية على فكرة التحالف مع تركيا وعدت هذا التحالف خروجا على ميثاق الجامعة والضمان الجماعى ، واقحاما لدولة غريبة فى الدفاع عن العالم العربى ، وربطا على العالم العربى ، لهذا العالم باحلاف استعمارية ..

واخذت مصر تعبىء الشعور ضد هذا الحلف فجندت صحافتها واذاعتها ، وأخذ الرسميون فى مصر وغير الرسميين يبصرون العراق وشعب العراق بخطورة الحال ... فهل عمل السيد نورى السعيد حسابا لمصر .. هل عمل حسابا لسوريا .. هل عمل حسابا للشعوب العربية على الاطلاق ... كلا . فماذا يخشى من مصر ، وماذا يخشى من سوريا وما الذى يخشاه من المملكة العربية السعودية .

يكفيه ان انجلترا وراء هذا الحلف ، وانها هى التى دفعته الى توقيعه وهى التى مهدت له السبيل فى تركيا وهى التى مشت من ورائه ، لتضمن استعمار هذه المنطقة التى تمتد من تركيا الى العراق ، الى افغانستان الى باكستان ، وكانت انجلترا تهدف من وراء ذلك أيضا الى تفتيت الجامعة العربية ، واذلال الشعوب العربية،

والقضاء على صفة الكبرياء التى امتازت بها سياسة بعض الدول العربية.. ونجحت سياسة الاستعمار فى تفتيت الجامعة كما نجحت فى تقوية عناصر الضعف والتردد التى تمتاز بها بعض حكومات الدول العربية .

وظنت انجلترا ان الامر قد استقر لها ، وان خططها قد نفذت بحكمة ومهارة ، وان سياستها قد كتب لها الاستقرار الى الوقت الذى تريده وتشاؤه .. ولكن الصيحة التى انطلقت فى مصر ، وسوريا قد جعلت الساسة البريطانيين يفيقون من نومهم ، ويعتقدون ان الامر ليس من السهولة بمكان .. ثار الشعب فى مصر ، وثار الشعب فى العراق ، وثار الشعب فى سوريا ، وثار الشعب فى لبنان ، وثار الشعب فى الاردن ، ووجدت حكومة العراق ان كرامتها ، وكبرياءها يوجبان توقيع الميثاق ، ولو كرهه شعب العراق ، ولو سالت دماء غزيرة بسببه فى كل شارع من شوارع بغداد ...

وقع نورى السعيد الميثاق ، ووقف يتطلع الى مئات الاحرار الذين ابتلعتهم غياهب السجون ، ووقف يتطلع الى دور الصحف التى قفل ابوابها ، ووقف يتطلع الى مئات الجواسيس الذين امتلأت بهم بغداد ومعظم مدن العراق ، وقف يتطلع الى موجة السخط والارهاب التى شملت كل من فى العراق ، وقف يتطلع الى هذا ساخرا قائلا : انا الدولة والدولة أنا ...

نسى نورى السعيد ان شعب العراق الذى تعود دائما ان يثور لا يمكن ان يسكت ، وان امة العرب ، التى لم تحتمل ضيم الاتراك وعنجهية الاتراك وظلم الاتراك لا يمكن ان تفرط فى حقوقها ..

* * *

نجح نورى السعيد ، فى توقيع ميثاق تحالف ... ونسى ان الشعب العراقى نفسه ضد هذا الميثاق ..!! والشعب العراقى مطلوب منه ان ينفذ الميثاق ... فهل تصدق ان شعب العراق سينفذ الميثاق ؟.. هل تصدق ان شعب العراق سيستكين

لدكتاتورية نورى السعيد ؟. كلا : ان كل الدلائل تدل على أن أيام نورى قد دنت ، وان دكتاتورية نورى فى طريقها الى الزوال ...

وميثاق السيدين نورى السعيد ، والسيد عدنان مندريس ، يشير فى مقدمته الى المعاهدة العراقية المعقودة فى ١٩ مارس سنة ١٩٤٦ ، والى المادة الحادية عشرة من ميثاق الجامعة العربية التى تنص على عدم المساس بحقوق دول الجامعة العربية والتزاماتها الناجمة عن انضمامها الى الامم المتحدة كما يشير الى ادراك كل من تركيا والعراق لما عليهما من مسئوليات ناجمة عن عضويتهما فى الامم المتحدة ، وقد رأيا رغبة منهما فى حفظ الامن والسلام بمنطقة الشرق الاوسط العمل على حفظ الامن وكفالة الدفاع ولم يشأ الميثاق ان يذكر الاتفاق الخاص بالتدابير اللازم اتخاذها لتحقيق هذا التعاون ويغلب على ظن اولئك الذين لهم دراية بخطط نورى السعيد وسياسة نورى السعيد أن هناك اتفاقا سريا يشمل حفظ الامن داخل العراق اذا ما قامت العراق بثورة ضد هذا الميثاق ، بالرغم من ان المادة الثالثة من الميثاق يتعهد فيها الطرفان بالامتناع عن التدخل فى الشئون الداخلية لكل منهما وتسوية كل نزاع ينشأ بينهما بالطرق السلمية ٥

* * *

ولقد نصت المادة الرابعة من الميثاق على عدم تعارض هذا الميثاق مع ما على كل منهما من التزامات دولية نحو الغير ويتعهد الطرفان المتعاقدان بعدم الارتباط بأية التزامات دولية لا تتمشى مع هذا الميثاق ومعنى ذلك ان الميثاق التركى العراقى لا يتعارض مع ميثاق البلقان ، ولا مع ميثاق الشمال الاطلنطى ولا غيرهما من المواثيق التى ارتبطت بها تركيا ، كما ان هذا الميثاق يربط تركيا والعراق برباط جديد بمقتضاه لا تستطيع العراق مثلا أن توسع من نطاق معاهدة الضمان الجماعى ، أو تعمل على زيادة الروابط السياسية بين الدول العربية الا بعد استشارة تركيا ...

والمادة الخامسة من هذا الميثاق تعتبر فى نظرى اخطر مواد هذا الميثاق لانها تدعو « اية دولة يهمها الامن والسلام فى هذه المنطقة من

ونص كل من مشروع صدقى ـ بيفن ، وميثاق نورى ـ مندريس العالم بشرط ان يكون الطرفان الساميان المتعاقدان معترفين بها الى الانضمام الى هذا الميثاق .. ومعنى ذلك ان العراق تعترف باسرائيل، ثم بعد ذلك تدخل اسرائيل الميثاق ، وتدخل معها انجلترا وامريكا وفرنسا وغيرهم بدعوى ان هذه الدول يهمها السلام فى هذه المنطقة. وبذلك يتحول الميثاق اوتوماتيكيا الى ميثاق للدفاع المشترك الذى سبق ان رفضته الدول العربية جميعا .. وقد كفت المادة السادسة مؤذنة البحث فيما وراء المادة الخامسة اذ قالت : بمجرد اشتراك اربع دول فى هذا الميثاق يؤلف مجلس دائم اعضاؤه من الوزراء يكون الغرض منه العمل فى نطاق هذا الميثاق ويحدد هذا المجلس بنفسه لائحته ونظمه فيما يتصل بالاجراءات .

ومدة هذا الميثاق خمس سنوات قابلة للتجديد وقد ورد فى المذكرة التفسيرية لهذا الميثاق : انه يسمح لبلدينا العراق وتركيا بالتعاون فى سبيل مقاومة كل عدوان موجه الى أى منا وفضلا عن ذلك فلكفالة حفظ السلام والامن فى منطقة الشرق الاوسط قد اتفقنا على التعاون على جعل كل قرارات الامم المتحدة فيما يتعلق بفلسطين نافذة ...

وقد أراد نورى السعيد من الاشارة الى قرارات الامم المتحدة تهيئة الاذهان لقبول فكرة التقسيم التى نادت بها هيئة الامم فيما يتعلق بفلسطين ...

ومشروع نورى السعيد ـ عدنان مندريس يشبه مشروع اسماعيل صدقى ـ بيفن فى كثير من المواضيع ، فكلا المشروعين قد أشار الى حفظ السلام وصيانة الامن الدولى وكلا المشروعين اشار الى تنسيق التدابير اللازمة للدفاع تنسيقا فعالا ، وكلا المشروعين اشار الى تأليف مجلس سمى مجلسا دائما فى حلف نورى مندريس ، وسمى لجنة استشارية فى مشروع صدقى ـ بيفن ، وكلا من اللجنة والمجلس الغرض منهما تعاون الفريقين فى المسائل الخاصة بالدفاع المشترك ...

على عدم التحالف أو الاندماج فى حلف قائم يتعارض معهما ...

ومجرد تحالف تركيا مع العراق يعطى كلا من الفريقين حق تبادل الاسرار الحربية ، وحق تبادل المعونة العسكرية ، والدول العربية مرتبطة بميثاق يعتبر كل اعتداء مسلح يقع على اية دولة أو اكثر منها أو على قواتها اعتداء عليها جميعا ، وهذا الميثاق يلزم كل دولة عربية بالمبادرة الى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور منفردة أو مجتمعة جميع التدابير وتستخدم ما لديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولاعادة الامن الى نصابه وميثاق الضمان الجماعى يحتم تعاون الدول المتعاقدة فيما بينها على دعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها واشتراكها بحسب مواردها وحاجاتها فى تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية لمعاونة أى اعتداء مسلح . وهذا الميثاق يحتم أيضا تأليف لجنة عسكرية دائمة من ممثلى أركان حرب الجيوش العربية لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله واساليبه ..

هذا الميثاق الجماعى الذى وقعته العراق يتعارض مع الحلف التركى العراقى ، ويجعل الميثاق الجماعى حبرا على ورق الا اذا أريد ضم تركيا الى هذا الميثاق رغم أنف البلاد العربية ، لان العراق مضطرة الى التعاون العسكرى مع تركيا بحكم الحلف التركى العراقى ، ومضطرة الى التعاون العسكرى مع بقية البلاد العربية بحكم ميثاق الضمان الجماعى ...

ولهذا فقد كان الميثاق التركى العراقى ضربة قوية اصابت الجامعة العربية فى الصميم ، ولذلك هلل اعداء هذه الجامعة ، وصفقوا لهذا العمل ، واعتبروا توقيع الحلف العراقى التركى أهم الاحداث فى الشرق الاوسط فى السنوات الماضية ... وحتى ان المتحدث الرسمى لوزارة الخارجية البريطانية ـ الوقورة ـ لم يتمالك نفسه فأذاع عقب توقيع الميثاق مباشرة « ان بريطانيا ترحب

ترحيبا حارا بهذا الحلف ، وتعتبره خطوة رسمية اولى لانشاء نظام للدفاع عن الشرق الاوسط ، كما يتخيله المسئولون فى تركيا والعراق بتأييد علنى من بريطانيا ، وتشجيع مستتر من الولايات المتحدة » .

كما ان وزارة الخارجية الامريكية رحبت بهذا الحلف وامنت على السياسة الواقعية التى سار عليها المسئولون فى العراق وتركيا وقالت الدوائر المسئولة فى واشنطون : « ان العراق تستطيع ان تتوقع الان الحصول على مساعدات اكثر من الحكومة الامريكية وخاصة ما يتصل بالطيران والمصفحات والاسلحة الاخرى لتنفيذ برنامجها الذى يرمى الى انشاء فرقة ميكانيكية تضاف الى فرقتى المشاة الموجودتين لديها الان .. ومن المتوقع أيضا ان تحصل تركيا الان على المزيد من المساعدات العسكرية الامريكية .. »

اما البرلمان التركى فقد وافق على الحلف بالاجماع ، اما الصحافة التركية فقد اجمعت كلها على انه « ليس على اسرائيل ماتخشاه من هذا الحلف » .. وهذا هو كل ما يهم تركيا وصحافة تركيا ...

وزغرد الساسة العراقيون الذين وقعوا الاتفاقية واعتبروا هذا التوقيع نصرا سياسيا لهم .. واعتبروا تعليقات الدوائر الرسمية فى لندن وواشنطون بمثابة شهادات حسن سير وسلوك منحت لهم .

أما ثورة العراق ، اما ثورة الامة العربية ، فماذا يعنيهم من العراق ... وماذا يعنيهم من الامة العربية ... اليس الانجليز والامريكان ـ والترك أيضا ـ فى صفهم .!!

ان الملك سعود يهتف بلسان الشعب قائلا : « ان الجامعة العربية املنا المشترك ووسيلتنا المرجوة لغايتنا القصوى المنتظرة وهى الوحدة العربية الكبرى التى نسعى جميعا الى تحقيقها ... ان جامعة العرب هذه تحتضر اليوم وان اركانها الراسخة على عزائمكم الصلبة مؤذنة بالانهيار وبانهيارها لا سمح الله ستنهار امال الامة العربية وامانيها تلك الامال والامانى الغالية التى سفكت فى سبيلها دماء شهداء الامة العربية فى كل مكان من ديار العرب الشاسعة الواسعة

ان الفاجعة المحيقة بنا وبكم فى هذه الساعات الرهيبة تهيب بى اليوم ان اصارحكم بما كنت امل واتمنى ان لا اضطر الى بيانه .. لقد خرج بعضكم عن اجماع الامة وارادة شعوبها ولقد عجزنا عن اقناعه بمغبة سياسته وخطر الخطوة المفزعة التى يقدم عليها وانفرد من بين الدول العربية بالسير على منهاجها ...

ان حكومتى وشعبى يقفان اليوم فى صف الجامعة العربية واننا واخواننا قادة الامة العربية قد تعاهدنا على الوفاء بعهودنا والاخلاص لامانينا والكفاح عن حقوق العرب ووحدتهم مهما قام أمام ذلك من عقبات ، ونهيب اليوم بكم ان تتبصروا المصير الذى يرسم لكم ولنا ، ذلك المصير الذى لن ينال العرب منه الا خراب الديار وتعريض البلاد العربية لخطر حرب مدمرة طاحنة ، مظلمة .

« فيأيها العرب ، هل ترضون بأن تكونوا عبيدا بعد أن كنتم أحرارا ، هل تقبلون ان تكون بلادكم وبلادنا مسرحا لحرب ضروس شعواء تقضى على استقلالنا الغالب فيها غيرنا والمنتصر فيها سوانا ، ونحن لها حطب هشيم ، يوقدها غيرنا لينال غاياته ، وندفع نحن الثمن من حريتنا وسيادتنا ، بل من دمائنا وأعراضنا .

« هل ترضون أن تلتقوا أنتم والصهيونيون فى حلف مشترك ، وزمالة سلاح ، فتقعوا بذلك فى العار الفظيع الذى يريده لكم اعداؤكم ، لارغامكم على التوقيع على صلح مع تلك الطغمة الظالمة المعتدية على بلادكم .. لقد عجز الاعداء عن حملكم على تحقيق هذا الصلح الشائن فسلطوا عليكم بعضا منكم يرغمونكم على ذلك ، ولو كره المخلصون .

واختتم الملك بيانه قائلا :

« ولهذا أكرر ندائى الى كل عربى أبى أن يقول كلمته ، وان يجاهر بعقيدته ، وان ينضم الى الجماعة ، فان يد الله مع الجماعة ، وان الخروج على الاجماع هو الخيانة العظمى وان اقرار الباطل ظلم ، والسكوت على الخيانة جريمة ، والرضاء بهذا وذاك مشاركة لفاعله

فى وزره ، ونحن الان فى مفترق الطرق وفى موقف مائع من بعض الدول ، اما أنا وحكومتى واخوانى المتفاهمون معى فاننا عازمون بحول الله وقوته على مكافحة الاحلاف التى لا تمت الى صالح العرب بأى سبب ، واننا سنحافظ على استقلالنا وسيادتنا ونذود عنهما بدمائنا وأموالنا وأرواحنا مهما أوذينا وامتحنا فى سبيل ذلك ، واننا سنتكاتف مع الدول الشقيقة المتفقة معنا فى سبيل أهداف العرب المشتركة حتى يظهر الله الحق ويبطل الباطل » .

هذا هو بيان الملك سعود ولكن ماذا يهم ساسة العراق من الملك سعود مادام تشرشل وايزنهاور، وعدنان مندريس ـ أيضا ـ فى صفهم ويثور الشعب العراقى ويصدر قادته بيانات نارية يقولون فيها للسيد نورى السعيد :

منذ ان اطلع الرأى العام على نصوص الكتاب الموضوع من قبلكم الى صاحب الجلالة الملك المعظم فى ٢١ تموز سنة ١٩٥٤ أوجس الناس خيفة على مصير العراق من السياسة التى انطوى عليها ذلك الكتاب بالرغم من محاولتكم اخفاء حقيقة تلك السياسة بعبارات غامضة للقضية وبالرغم من تصريحاتكم المتكررة من ان العراق لن يرتبط بأى حلف من شأنه ان يزيد فى التزاماته الدولية وانه متمسك بميثاق الامم المتحدة وميثاق الجامعة العربية وانه يلتزم بالسير وفق ما تجمع عليه الدول العربية الى غير ذلك من التصريحات فلم يقبل اقتناعه بان هناك مشروعات مبيتة سوف تفاجئون بها الرأى العام ...

ولغرض التمهيد لهذه المشروعات المبيتة ولتسير سيطرتكم المطلقة على الحياة العامة فى العراق لم تكتف حكومتكم بحل المجلس النيابى لاستبعاد الكتلة الوطنية المعارضة فيه بل قضت حكومتكم على الحياة الحزبية وعلى حرية الصحافة حتى لم يعد يرتفع صوت يعرض على الرأى العام حقيقة السياسة التى تجرون العراق اليها سواء فى الداخل أو الخارج ..

وفى هذا الظرف الذى يسود العراق فيه الحكم الكيفى ، والذى اثقل فيه الشعب بالاصفاد وحرم كل ضرب من ضروب الحريات العامة صدر البيان المشترك الذى نعلن فيه حكومتكم توصلها الى اتفاق على عقد حلف مع تركيا واذا بهذا البيان يخلق عاملا جديدا خطرا لتكدير صفو علاقات الاخوة والصداقة مع البلاد العربية التى اعلنتم فى كتابكم المرفوع الى جلالة الملك حرصكم على تعزيزها ، ووعدتم بازالة كافة العوامل التى أدت الى الضعف والوهن فى علاقاتها والتى سببت الاحتكاك والتوتر بين بعضها بعضا منذ تأسيس الجامعة العربية ...

وليس هناك ما يزيد من حدة التوتر والاحتكاك فى علاقات الدول العربية ويشيع الضعف والوهن فى وحدة صفوفها بقدر هذه السياسة التى سارت عليها حكومتكم ، تلك السياسة الرامية الى تجاهل البلاد العربية، وما ينجم عن ذلك من جعل العراق فى وضع انعزالى تجاه شقيقاته الدول العربية وتفريق وحدة العرب وتشتيت كلمتهم فى وقت هم بأمس الحاجة فيه الى التفاهم والتعاضد لحل قضاياهم ومشاكلهم الداخلية والخارجية ومجابهة الوضع الذى نشأ منذ قيام اسرائيل المعادية .

فالشعب العراقى اكثر حرصا على تعزيز الروابط المشتركة بينه وبين الاقطار العربية من حرصه على روابط الصداقة بينه وبين تركيا ، تلك الصداقة التى لم يبد من جانب العراق ما يكدرها ، وانما اندفعت تركيا فى تيار سياسة موالية لاسرائيل المعادية ، وهذا هو مصدر شكوى العراقيين والعرب عامة . واذا كان ثمة خطر يعنى البلاد العربية ، فهو خطر اسرائيل المعادية التى اظهرت تركيا فى مختلف المناسبات حرصها على تعزيز صلاتها وتوثيق علاقتها معها على حساب البلاد العربية واهدافها القومية .

* * *

ولا يخفى على أحد ان الغرض من تحدى الرأى العام العراقى ، والرأى العام العربى ، وخلق التوتر بين الحكومات العربية لم يكن

مبعثه الرغبة فى تعزيز أواصر الصداقة مع تركيا ، بل هو الانحراف فى التيار الذى سارت به تركيا فى التكتل مع الدول الغربية بالرغم من ان العراق وسائر البلاد العربية لا يمكن ان يرى نفعا فى دعم السلطة الاستعمارية التى تحمى اسرائيل المعادية من جهة وتمد سلطانها الاستعمارى الغاشم على معظم اجزاء الوطن العربى من جهة أخرى . ولا يعقل ان يكلف العرب بالدفاع عن مصلحة مستعمريهم ومغتصبى حقوقهم وممتهنى كرامتهم ومسببى بؤسهم وشقائهم .

* * *

ان فكرة الحياد التى تبنتها الاحزاب الوطنية واعلنتها فى حينها ، لم تأت عفوا ، ولم تلق لدى الرأى العام العراقى ما لقيت من تأييد ، الا لانها تعبر اصدق تعبير عن الموقف الذى يجب ان تقفه بلادنا تجاه صراع دولى لا مصلحة لها فيه مطلقا بل هى ضحيته وان المحالفات العديدة التى قامت بين بعض الدول العربية كالعراق ومصر والاردن مع بريطانيا والتى انتفعت بها بريطانيا وحلفاؤها منها لم تحل دون وقوفها موقفا معاديا للبلاد العربية فى قضية فلسطين ، وفى قضايا اخرى خطيرة كدعمها للاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى ، ودعمها للاستعمار البريطانى فى وطننا العربى .

* * *

ان ارتباط العراق بهذا الحلف العسكرى يعنى فى الحقيقة ارتباطه بجميع الاحلاف العسكرية اذ ان تركيا مرتبطة بالحلف الاطلسى والبلقانى من جهة وبالحلف مع باكستان من جهة أخرى وبذلك يكون العراق قد فك ارتباطه فعلا من الضمان الجماعى العربى بل يكون قد فك ارتباطه من الجامعة العربية نفسها وانضم الى تلك الاحلاف التى طالما قاومها ولا يزال يقاومها الشعب العراقى وسائر الشعوب العربية أشد المقاومة .

والمستعمرون الانجليز والامريكان ، الذين عجزوا عن اخضاع

الشعوب العربية لا يكتمون اغتباطهم الشديد بهذا الحلف باعتباره ثغرة واسعة فى الجامعة العربية وسببا لجرها للانضمام اليه كما ان اسرائيل المعادية اخذت تعلق عليه امالا كبيرة لتثبت مركزها فى الشرق الاوسط .

والشعب العراقى يعارض هذا الحلف لانه فضلا عن كونه يضر بوحدة العرب ويعزل العراق عن شـــقيقاته يضر بمصالحه بالذات ويطوح بمرافقه وابنائه فى سبيل مصالح اجنبية وهو لا يجد خطرا خاصا محدقا به لكيما ينفرد دون الدول العربية الاخرى فى هـــذا العمل بل ان هذا التحالف نفسه سيجلب على العراق وبالتالى على البلاد العربية من الكوارث والمخاطر ما يجعله نقمة على العرب اجمع .

لذلك نرى من واجبنا ان نلفت نظركم الى ان امرا خطيرا كهذا الذى اقدمت عليه حكومتكم انما يتعلق بمستقبل العراق واجياله المقبلة وحكومتكم تعتزم انجازه والعراقيون لا يملكون من أمرهم شيئا ولا يستطيعون ان يبدوا رأيهم فيه بحرية .

* * *

ان الشعب العراقى برىء من هذا الاتفاق الذى لا رأى له فيه ، بل بالعكس من ذلك يرى فيه تحديا لارادته ومشيئته ، فهو اتفاق حكومات لا شعوب ، ولا شك ان الشعب سيلغى هذا الاتفاق الذى يبرم خلاف مشيئته عندما يملك أمره ويحقق ارادته » .

* * *

ويوقع على هذا البيان حسين جميل السكرتير العام للحـزب الوطنى الديمقراطى وصديق شنشل السكرتير العام لحزب الاستقلال العراقى ومحمد حديد زعيم النقابات العراقية ، وفائق السامرائى نائب رئيس حزب الاستقلال العراقى ، وكامـل الجادرجى رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى العراقى .

ولكن من هم : حسين جميل وصديق شنشل ومحمد حديد والسامرائى والمجادرجى بالنسبة الى تشرشل وايزنهاور وعدنان مندريس ... أرباب الإستعمار ..

ويثور الشعب العربى فى سوريا والاردن ، ولبنان ومصر ثورة عاتية يصورها الحزب التقدمى الاشتراكى اللبنانى وحزب ابعث العربى السورى فى بيان وطنى رائع يقول فيه :

« أيها الشعب الكريم

ان التحرر من الاستعمار والقضاء على اسرائيل الصهيونية ، والتحرر من الرجعية والاقطاعية الاقتصادية والسياسية ، والاتجاه نحو الوحدة ، هى الاهداف الحقيقية لقضية الاشتراكية العربية ، وهى الاهداف المنبثقة عن منطق مصلحة العرب ورسالتهم .

والحياد الايجابى ، الذى ينطوى بطبيعته على النضال من أجل تحقيق تلك الاهداف ، ينطوى على الرفض الصريح والمقاومة الفعلية لكل نوع من الاحلاف التى تربط الدول العربية بأى معسكر من المعسكرين القائمين ، هو التجسيد العملى للسياسة الخارجية العربية التى تنبثق عن منطق الاشتراكية ومصلحة العرب ورسالتهم واهدافهم فى الحرية والاشتراكية والاتجاه نحو الوحدة ، والتى تعتبر السلم العالمى وتجنيب العالم ويلات الحرب ، الظرف الدولى اللازم الذى يتطلبه منطق هذه المصلحة والرسالة والاهداف .

* * *

وان وحدة النضال الشعبى فى سبيل هذه الاهداف هى الاسلوب الاساسى فى تحقيقها .. ان مؤامرة الاستعمار التى لم تتغير أهدافها وان تغيرت أساليب العمل لتنفيذها ، ازاء العرب وقضيتهم ومصيرهم ، تقوم على تحطيم نضالهم المتصاعد فى سبيل اهدافهم تلك ، وتستهدف منعهم من بلوغها .

فهذه المؤامرة تستهدف : تثبيت الاستعمار فى الاقطار العربية ؛

عسكريا واقتصاديا وسياسيا وتثبيت الاحتلال العسكرى فى بعض هذه الاقطار كالعراق والاردن وليبيا ـ لتحمى المصالح الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية الاستعمارية ـ بالقوة اذا احتاج الامر .

وهذه المؤامرة تستهدف : تصفية القضية الفلسطينية والابقاء على اسرائيل ، وجر العرب نهائيا للصلح معها من جهة أخرى ، كما تستهدف المحافظة على الرجعية والاقطاعية الاقتصادية والسياسية فى كل بلد عربى ، كشريكة للاستعمار من جهة أخرى .

حاول الاستعمار تحقيق مؤامرته هذه ، باشكال مختلفة واساليب شتى ، فشلت جميعها بفضل وعى الشعب ونضاله .

ولذلك لجأ الى الخطة الاخيرة التى يكون حلف السعيد ـ تركيا . الحلقة الاولى منها ، والتى يؤمل الاستعمار أن تكتمل حلقاتها الى النتيجة المرسومة .

ليس حلف السعيد ـ تركيا ، الا الخطوة الاولى التى يراد أن تتلوها خطوات ، تنتهى بالاستعمار الى تحقيق مؤامرته الخطيرة التى فضحناها .

وليس نشاط الاستعمار وعملائه واجهزة الدعاية التى يسيطر عليها ويوجهها ، الا دليلا قويا على مقدار عناية الاستعمار بهذه الخطة ونجاحها .

فالمراد من هذا الحلف هو شطر الجامعة العربية واضعاف موقفها حيال القضايا العربية القائمة وفى رأسها قضية فلسطين .

اننا نتوجه الى الحكومات العربية لاتخاذ موقف صريح سليم ، يعكس مصلحة العرب ويعبر عن ارادتهم ...

والموقف السليم الصريح ... هو فى تبنى سياسة خارجية عربية موحدة مستقلة ، تقوم على اعتماد العرب على انفسهم فى الدفاع عن وطنهم وكيانهم ، والتعبير العملى عن هذه السياسة هو رفض حلف السعيد ـ تركيا رفضا صريحا قاطعا ، وتقوية ميثاق الضمان الجماعى بانشاء الجيش العربى المشترك ذى القيادة الموحدة ، من

الدول العربية التى تتبنى هذه السياسة وترفض الدخول فى الاحلاف .. كما نتوجه للشعب فى كل قطر عربى ، فى العراق وسوريا ولبنان والاردن بصفة خاصة للنضال والتعبير عن ارادته تعبيرا يفرض على الحكومات اتخاذ هذا الموقف السليم الصريح » .

* * *

ولكن ماذا يهم نورى السعيد من سوريا ولبنان ، ومن مصر ، ومن الاردن ومن المملكة العربية السعودية .

الا يكفيه فخرا أن سادته راضون عنه ، يبتهجون لما عمل ، يفرحون بما قدم ..؟

هذا هو حلف تركيا العراق ...

وهذه هى قصته من البداية فقط .. لان النهاية لم تكتب بعد ، وهذه النهاية لن يكتبها الا الشعب العراقى نفسه .. الشعب العراقى القادر على انزال نورى السعيد من عليائه ...

الشعب العراقى وحده هو الذى يستطيع أن يجعل من نورى السعيد عبرة لمن يعتبر ...

الشعب العراقى هو الذى يضع نهاية الحلف العراقى التركى وسيضعها لا على جثة نورى السعيد فان جثته لا تستأهل شيئا بل سيضعها على جثة سياسة نورى السعيد ، واشباه نورى السعيد ... !!

نحن وسياسة تركيا!

« لا توجدظروف مهما تكنسيئة لا يستطيع الانسان البارع ان يستخلص منها خيرا له ، ولا توجد ظروف مهما تكن سعيدة لا يستطيع الاحمق ان يجعل منها شرا له » .

لاروشفوكو

فى صيف العام الماضى كنت فى جزيرة قبرص وأخذت أبحث عن اللاجئين العرب فى تلك الجزيرة الصغيرة ، وقضيت أياما أتنقل بين نيقوسيا ، وليماسول ، وفماجوستا ، وغيرها من البلدان القبرصية باحثا عن ضحايا اسرائيل . وذات ليلة كنت مع واحد منهم ، وكان معنا الشاب الوطنى ـ فخر السلك الدبلوماسى ـ الاستاذ عمران الشافعى نائب قنصل مصر فى قبرص ، وكنا نجلس على سرير من الحديد وامامنا رجل من علية القوم فى فلسطين ، كانت له بيارات عديدة ، وكانت له عمارات كثيرة واطيان شاسعة خلفها عندما اعتدى الصهيونيون على فلسطين وكان قد اصيب بذبحة صدرية ، وكانت حالته بين الموت والحياة ، وكان ابنه الذى لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره قد انقطع عن مدرسته ليشتغل عاملا فى احد المحلات اليونانية وكانت أجرته لاتزيد على ستين قرشا فى الاسبوع تنفق على والد مريض ، وام مهمومة ، وطفلة صغيرة مات والدها واخذها عمها الى جانبه ليمنعها من الانحراف فى طريق الغواية التى انحدرت اليها امها القبرصية ، وكانت حالة المريض تبعث على الاسى والحزن حتى ان صديقنا الشافعى أخرج معظم راتبه الشهرى ، وكان الجيران من المواطنين القبرصيين يحجون الى هذه الحجرة الصغيرة التى توجد فى احدى خرابات نيقوسيا وفجأة ظهرت عجوز

هرسة كان صوتها يدوى فى الزقاق الضيق وأخذت تضرب حفيدها الصغير وتقول له فى لهجة كلها تهكم وسخرية : « ازاى يا ولد تنزل من غير لباس ، ومن غير جزمة هو انت عربى ... »

والغريب ان السيدة التى قالت هذا الكلام كانت تركية وكانت تقوله باللغة العربية، وتململ الرجل المريض غاضبا وقال : انها تقصدنا نحن العرب ... اننى اسمع كل يوم عشرات من الكلمات النارية من هذه السيدة ومن زميلاتها التركيات ... وهذه الكلمات اقسى على من مرضى .. بل وأقسى من الايام .. وراح الرجل فى غيبوبة ..

وانتقلت الى قهوة اختارها أبناء فلسطين الذين ممن هاجروا الى قبرص ، وجلست أستمع الى قصص العذاب والهوان الذى يقاسونه ، وكان على بعد خطوات من هذا المقهى دار المفتى التركى : واستمعت الى أحدهم قائلا : أليس حرما أن تحتكم هذا الدار على ألوف الافدنة كأوقاف خيرية ونحرم منها .. أليس من المؤسف أن نلقى ونحن فى محنتنا هذه المعاملة الطيبة من اليونانيين والقبرصيين وهم أجانب عنا، ولا نلقاها من اخواننا فى الدين، وجيراننا فى الوطن؟؟

* * *

والحقيقة اننى وجدت جفاء منقطع النظير بين العرب والاتراك فى قبرص وتحدثت الى المسئولين هناك فى امر هذا الجفاء فعلمت ان تركيا تنظر الى الدول العربية كأنها هى التى اودت بها ، وهى التى قضت على امبراطوريتها الشاسعة . ووجدت ضمن الاوراق الرسمية التى تزخر بها المكاتب الحكومية فى قبرص ، احصاءات عن التجارة فى قبرص ، وتركيا ، واسرائيل ، وفوجئت عندما علمت بان العميل الاول لتركيا هو اسرائيل ، والعميل الاول لاسرائيل بعد امريكا هى تركيا ..

وعدت وفى النفس غصة من هذه السياسة التركية التى اومن بان الشعب التركى لا يستسيغها ، ولا يرضى عنها .. ثم كانت سياسة التقرب من مصر التى بدأت بوفد من الصحافة التركية ، والحقيقة اننى لم ارتح لهذه السياسة لانى أومن ايمانا جازما بأنها كانت سياسة وقتية لا غير ، وان الانجليز والامريكان من وراء هذه السياسة لكى

يشعرونا بأن تركيا قريبة منا .. والواقع ان السياسة التركية بوضعها الراهن لا يمكن أن تكون قريبة من العراق ، ولا من الاردن ولا من المملكة السعودية العربية ولا من اى بلد عربى اخر .. وخاصة مصر فلقد تنكرت تركيا للثورة العرابية فى نهايتها بعد أن كانت هذه الثورة تنادى بالخلافة الاسلامية ، وتنكرت تركيا لمصر حتى بعد الاحتلال الانجليز ، وكانت كل أغراضها أن تبقى مصر ولاية ولو من الناحية الاسمية تابعة لتركيا . وبالرغم من أن سياسة تركيا كانت تتعارض مع سياسة انجلترا دائما وكان من الممكن ان يجد الوطنيون المصريون مساعدة من تركيا الا أن تركيا لم تفعل ذلك

* * *

لقد غادر الزعيم محمد فريد ارض مصر بعد ان سجن ستة اشهر ، وبعد ان تبين ان سلطات الاحتلال تريد ان تعيده الى السجن واتجه الى الاستانة حيث لقى من الحكومة العثمانية فى بادىء الامر كل احترام وحفاوة غير ان السياسة التركية تنكرت له وخاصة عندما تألفت وزارة احمد مختار باشا وبدأت المخابرات بين الحكومة المصرية والحكومة التركية فى اغسطس سنة ١٩١٢ لتسليم بعض من اعتبرتهم انجلترا مجرمين سياسيين وفطن محمد فريد الى هذا التحول فى السياسة التركية فانتهز فرصة مؤتمر السلام الذى عقد فى جنيف سنة ١٩١٢ وسافر الى هناك ورفض الشيخ عبد العزيز جاويش السفر الى جنيف ومغادرة تركيا لانه أحسن الظن بسياستها غير أن السلطات التركية اعتقلته وأرسلته الى مصر مقبوضا عليه وهذه هى النخوة التركية فيما يتعلق بالمجرمين السياسيين !!..

وتاريخ الاستعمار التركى فى البلاد العربية محفوظ فى قلب كل عربى ، ولا يمكن أن يذكر ذلك التاريخ الا وتذكر فى صفحته الاولى مذابح جمال باشا .. لقد حاولت السياسة التركية « تتريك » العناصر العربية ومحو كل حركة يراد منها اظهار احساسهم بذاتهم أو رغبتهم فى الاستقلال والحرية فلما فشلت هذه السياسة لم يتردد جمال باشا فى الانتقام اذ أصدر أمره بتأليف محكمة صورية أخذت تسير على غير خطة مرسومة .. ثم جمع أولئك الذين اتهموا

بالاتصال بالحلفاء ، وجمع أصحاب الرأى والمكانة فى البلاد العربية واستصدر ضدهم أحكاما بالاعدام ، ولم يكتف جمال بتنفيذ المؤامرة مرة بل كررها مراراوتكرارا فى جميع البلاد العربية.. ويصف المؤرخ أمين سعيد صورا دامية لاعدام هؤلاء الابطال فيقول :

وقف عبد الكريم الخليل وحبل المشنقة يداعب عنقه وقال : أشهدكم أيها القوم اننا لم نأت أمرا منكرا يوجب وقفتنا هذه وانى آسف على ما أظهرته من الاخلاص للدولة العثمانية منذ نشوب الحرب ولكن الاتحاديين أبوا الا أن يعلنوا عداءهم لهذا العنصر العربى الكريم الذى لا يملك من أمره شيئا ، واذا كان جمال باشا يتهمنا باحترام الثورة لاستقلال العرب فلابد من ضحايا لهذا الاستقلال ولنكن نحن أول هذه الضحايا ..

ثم هوى يتأرجح فى حبله

وجىء بأخوين الى ساحة الاعدام فتعانقا طويلا ، ثم أخذ كل منهما يشجع الآخر وصعدا الى المشنقة معا بقدم ثابتة ، وكان كل رجائهما أن يعدما معا حتى لا يشهد أحدهما الآخر وهو يعذب .

ولما تقدم أمين لطفى الى الجلاد كان هاشا باشا ، كأنما هو ذاهب الى ملهى ، وارتبك الجلاد وهو يضع الحبل حول عنقه فقال امين لطفى يداعبه باللهجة المصرية : ألم تتعلم طرق الاعدام كما يجب .. ضع الحبل فى عنقى بفن ونزاكة على الاقل جزاء خدماتنا للدولة العلية ..

ولم يحسن الجلاد مع هذا وضع الحبل كما ينبغى ، وقد نزع الكرسى من تحته قدمه قبل اللحظة المناسبة فظل يتعذب بين الموت والحياة أكثر من عشر دقائق .

وعشرات من هذه المذابح فى مصر وفى العراق ، وفى سوريا وفى لبنان بل فى مكة والمدينة ، ولهذا فقد ازدادت الهوة بين الشعوب العربية وبين السياسة التركية ، وارتبط اسم تركيا فى أذهان الشعب العربى ، بالاحتلال والاستبداد ، والدكتاتورية التى لا مثيل

لها فى القرون الوسطى ..

وعندما جاء مصطفى كمال الى الحكم حاول أن يتقرب الى العرب وأن يعترف بأمانيهم فى الحرية والاستقلال ثم غلب الطبع على التطبع وعادت السياسة التركية وفق الهوى .. مرة تتحالف مع روسيا ، ومرة أخرى تتحالف مع ايران ، ومرة ثالثة تتقرب الى انجلترا وايطاليا والمانيا ، وكانت تركيا تستفيد من كل هذه المحالفات . فعندما توددت الى روسيا ، استفادت منها بتأكيد سيادتها على الدردنيل ، وعندما توددت الى انجلترا ، وعينت السير الكسندر جب مهندسا مستشارا لوزارة الاشغال التركية اقترضت من انجلترا دفعة واحدة ١٦ مليون جنيه .. وأخيرا انضمت عام ١٩٣٤ الى ميثاق البلقان ـ اليونان ـ يوغوسلافيا ـ رومانيا ، للمحافظة على السلام والاستقلال . ثم تقربت من فرنسا ، وتمكنت بسبب هذا التقرب من الاستيلاء على الاسكندرونة التى هى من صميم الوطن السورى ثم تمكنت بعدئذ من عقد معاهدة عدم اعتداء مع فرنسا بعدئذ ..

ثم عادت فيما بعد فعقدت معاهدة تحالف مع بريطانيا وفرنسا ونالت تركيا بسبب هذه المحالفة ٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى ، ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه ذهبى ، ٣ر٥٠٠ر٠٠٠ جنيه تصفية لديون كانت متجمدة لفرنسا وبريطانيا عليها .. ثم عقدت اتفاقات تجارية مع المانيا نالت بموجبها مواد ومعدات حربية من المانيا قيمتها ١٠٠ مليون جنيه تركى ، ولم تدخل تركيا الحرب واكتفت بالاستفادة المزدوجة من الطرفين .

ثم جاءت امريكا الى منطقة البحر الابيض المتوسط وبدأت تهتم بدوله ، وتلقفت تركيا هذا الضيف الجديد واستأثرت به ، واختلطت السياسة التركية بالسياسة الامريكية ، واصبح العون الامريكى هو كل شىء فى حياة تركيا ..

وانضمت تركيا الى ميثاق شمال الاطلنطى ، واشتركت فى حرب كوريا ، ولعبت دورا خطير فى توقيع المعاهدة الثلاثية بين تركيا

واليونان ويوغسلافيا .. ثم تحالفت مع باكستان .. وأخيرا مع العراق ، ولم يبق لتركيا ـ كى تتم حلقتها السياسية ـ الا أن تتحالف مع ايران وأفغانستان واسرائيل ، فاذا تحقق هذا فان تركيا تعتبر نفسها قد حققت كل ما تريده سيدتها امريكا !!

ولكنها لن تنجح فى ذلك بأية حالة من الاحوال ، اننا نريد أن نستفيد من هذا الظرف السيء الذى أوجدتنا فيه العراق بتحالفها مع تركيا ، نريد أن نعيد الى الشرق السلام والامن والطمأنينة .. نريد أن نثبت للبشرية بأسرها اننا لا نبغى الحرب ، واننا لا نريد أن نكون مخلب قط للسياسة التركية أو السياسة الامريكية ..

نريد أن نثبت اننا أحرار فى سياستنا الخارجية والداخلية ..

نريد أن نمكن للدول المحبة للحرية أن تنال هذه الحرية ..

نريد أن نظهر كراهيتنا الشديدة لسياسة النفعية التى تسير عليها تركيا ..

نريد أن نحقق لشعوبنا كل ما تريده منا ..

نريد أن نبتعد عن أولئك الذين أذلونا باحتلالهم ..

نريد أن ندعو الى عالم غير مهدد بالدمار ..

نريد أن نثبت اننا حقا رجال .. وكل ذلك لن يتم الا اذا قضينا على التحالف التركى العراقى ، وكل تحالف آخر من شأنه ربط سياستنا بسياسة الاستعمار .. وسننجح فى ذلك قريبا لان الكلمة الاخيرة دائما للشعوب ، ولان سياسة الاستبداد وتكميم الافواه والقضاء على الحريات ، واملاء المعاهدات والمحالفات ان عاشت أياما فلن تعيش شهورا .. وان عاشت شهورا فلن تعيش ـ بأية حال من الاحوال ـ أعواما !!

مصيرنا فى ايدينا

«ان من لا يتقدم يتأخر»

«مثل فرنسى»

كتب رتشارد سكوت المراسل الديبلوماسى لجريدة المانشستر جارديان يقول : عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية بقيت بلدان عديدة فى اوربا متعلقة بخيوط من الامل فى ان تمر بها العاصفة دون أن تجتاحها . . . وكم كانت قليلة تلك الدول التى نجحت فى بلوغ هذا الهدف فقد تم اكتساح بلجيكا وهولندا ، ولكسمبورج لانها كانت تقع بين المانيا وفرنسا فى نقطة فر هتلر أن يبدأ منها أول هجومه الكاسح فى الغرب ولاشك فى أن قرار تلك الدول بالتزام جانب الحياد كان احد تلك العوامل التى جعلت هتلر يقرر البدء فى شن هجومه من تلك المنطقة .

أما الصعاب التى اكتنفت الدول المحايدة وحفت بها فى الحرب الماضية فقد كانت تتوقف على نسبة قربها من المانيا ومنفعتها لها ، ولم يباشر هتلر ابتلاع دول البلقان الشرقية الواحدة تلو الاخرى الا بعد ان اخذ يعد العدة لهجومه ضد الاتحاد السوفيتى الذى كان قد عقد واياه معاهدة صداقة وعدم اعتداء قبل ذلك بسنتين تقريبا ولقد خيرت تلك الدول بين التعاون مع هتلر او الاحتلال فاختارت التعاون وكان الاجدر بتلك الدول واشرف لها ان تقاوم هتلر ، كما فعلت يوغوسلافيا اذ رفضت التعاون معه ، فلو قاومته تلك الدول لكانت قد خسرت مع مرور الزمن من الرجال اقل ما خسرته بتعاونها معه خاصة وانه كان يستخدم جيوشها المتعاونة معه كطعم لمدافعه خلال معاركه ضد روسيا والحلفاء » .

وينهى رتشارد مقاله بقوله : وليس هناك من سبب يدعونا الى الشك فى ان هتلر انما كان يرمى الى اجتياح بلدان الشرق الاوسط

كما اجتاح اوربا وكما اجتاحت اليابان بلدان الشرق الاقصى غير ان مركز الشرق الاوسط كان يختلف كل الاختلاف عن الموقف فى اوروبا والشرق الاقصى ، ففى الجهة الشرقية كانت بريطانيا فى الهنـــد . واستطاعت انجلترا ايضا ان تجعل من مصر ستارا دفاعيا ، وكانت روسيا فى الشمال وكان الاسطول البريطاني مسيطرا على حـــوض البحر الابيض المتوسط الشرقى ومع ذلك فقد بذل الالمان والطليان جهودا جبارة لاكتساح الشرق الاوسط عبر مصر ، وكاد التوفيق يحالفهم فى احداث انقلاب سياسى فى ايران يرمى الى وضع تلك الدولة الى جانبهم .

ويصل رتشارد سكوت مباشرة الى هدفه الاصلى وهو الذى من اجله كتب هذا المقال ، ومن اجله وزعت مئات الملايين منه فى جميع أنحاء العالم . . « أما اليوم فان خطر الاعتداء لم يعد كامنا فى المانيا بل فى الاتحاد السوفيتى ولا يتوقع احد ان تكون روسيا اكثر مراعاة للدول المحايدة من المانيا النازية ، ولطالما تهدف روسيا الى السيطرة على العالم فانه لواضح تماما ان حظ دول الشرق بالابتعاد عن النزاع والمحافظة على حيادها هو حتما اقل مما كان عليه خلال الحرب ضد المانيا النازية .

لقد واجهت بلدان اوروبا الغربية خطر العدوان السوفيتى ، كما أيقنت أنه فى حالة وقوع العـــدوان فانه لن يتيسر لهـــا أن تحتفظ بحيادها ، ولذلك جمعت تلك الدول مواردها الدفاعية وتكتلت فى منظمة دفاعية مشتركة فأصبح الاعتداء على احداها بمثابة خوض معركة ضد الجميع . . ولا شك ان قوة اضافية هائلة قد ادخلت فى صلب هذه المنظمة الدفاعية المشتركة بانضمام الولايات المتحـــدة وكندا اليها .

ومنطق رتشارد سكوت هو منطق الاستعماريين الانجـــليز ، والامريكيين بنصه وفصه :

لن تنجح الدول المحايدة فى الاحتفاظ بحيادها !

ولن تحترم روسيا حياد هذه الدول المحايدة .

ولن تستطيع الدول المحايدة ـ مهما بذلت ـ النجاة من الحرب ، ولهذا يجب على تلك الدول التى تميل الى الحياد ان تترك ســياسة الحياد ، ثم تنضم الى المعسكر الغربى ، ثم تضع كل امكانياتها تحت

اقدام الهة الحرب ، ودعاة الموت ، ثم بعد ذلك ـ بل وقبل ذلك ـ ينبغى أن نعادى روسيا ونتأهب للانقضاض عليها فى الوقت الذى يريده تشرشل وايزنهاور وشانج كاى شيك ايضا .

ولكن لماذا نعادى روسيا ؟ هذا هو السؤال الذى تطلب منا الدول الاستعمارية ألا نوجهه الى أنفسنا .. يكفى أن انجلترا وامريكا تقول لنا : روسيا عدوتكم فنقول : أمين .. لقد كانت دائما تقول لنا ذلك من قبل : قالت لنا فى أول القرن العشرين فرنسا عدوتكم فقلنا : أمين .. ثم قالت لنا تركيا عدوتكم فقلنا : أمين ثم قالت لنا بعد ذلك فى الحرب العالمية الاولى : المانيا عدوتكم فقلنا : أمين .. واليوم تكرر لنا انجلترا ومن فوقها امريكا ـ أو من تحتها ـ فلسنا ندرى موضع كل منهما من الاخرى ـ نفس القصة وتقول لنا روسيا عدوتكم ، فتحالفوا معنا ضدها .. اما اسرائيل أما الاستعمار الانجلو امريكى الذى اخذ يتغلغل فى الشرق الاوسط بصورة مخيفة فهو ليس عدونا .. وهو ليس مخيفا لنا .

ونحن اليوم نصارح الساسة الامريكيين ، والانجليز فنقول لهم : لقد تفتحت أعيننا عن ذى قبل ، والت أمورنا الى أنفسنا ، ولم تعد هناك وصاية اجنبية علينا ، وكل الذى نعمله فى الحاضر وفى المستقبل هو الذى يتفق مع مصالحنا وسنسقط من حسابنا أى أمر آخر ليس فيه فائدة لنا .. ولهذا فان الدعاية التى تلجأون اليها كل صباح وكل مساء من ان الدول المحايدة لن تنجح فى الاحتفاظ بحيادها ، وان روسيا لن تحترم هذا الحياد ، هذه الدعاية لن نهتم بها ، لاننا نؤمن بأن الدول التى تقولون أنها لم تحتفظ بحيادها ـ لم تكن حقا محايدة ـ بل كانت تتصنع الحياد .

فالبلجيك فى الحربين العالميتين الماضيتين كانت غير صادقة فى حيادها بل كانت تغازل المانيا مرة ، وتغازل الحلفاء مرتين وهولندا كذلك ، والدول الاسكيندنافية بالرغم من اتجاهها نحو الحياد كانت تظهر ضعفا ملموسا تجاه الجانبين ، وكانت تتردد بين المعسكر الالمانى والمعسكر الانجليزى الفرنسى ، ولهذا لم تنجح هذه الدول فى الاحتفاظ بحيادها لان سياستها لم تكن سياسة حياد حقيقى ، أما

سويسرا وأما تركيا وأما أسبانيا فقد احتفظت بالحياد طوال الحرب الاخيرة ، واستطاعت كل من هذه الدول أن تستفيد من كلا المعسكرين دون أن تدفع ثمنا لهذه الاستفادة .. وكذلك الحال فى كثير من دول الامريكتين وبعض دول افريقية ، وآسيا .. ان للحياد مقومات ينبغى أن تتوفر فى الدول المصممة عليه ، وفى مقدمة هذه المقومات الصراحة والصدق وعدم التحيز الى جانب من الجوانب .. أما الحياد المشبع بالعطف نحو احدى الكتلتين فأمر لا يتفق ومبادىء الحياد الصحيح ، والدول التى لا تحترم حيادها لا يجوز لها أن تطلب من الدول الاخرى احترام هذا الحياد ...

لقد اتخذت انجلترا مثلا موقف الحياد بالنسبة للحرب الايطالية الحبشية وعندما طبقت عصبة الامم العقوبات الاقتصادية على ايطاليا كان من الواجب على بريطانيا وهى احدى الدول المشتركة فى عصبة الامم أن تشترك فى توقيع العقوبات الاقتصادية غير أنها اتخذت موقف الحياد .. وقد وقف ايدن فى مجلس العموم يقول أن بريطانيا لن تعلن موقف الحياد وانها لو كانت تبغى أن تقف موقف الحياد لاعلنت ذلك ولكن ايدن ـ نسى أو تناسى ان نية الحياد يمكن اظهارها والتدليل عليها بغير الاعلان ... ولما كانت السياسة المصرية تسير وقتئذ فى دورة السياسة الانجليزية فقد كان من المألوف ومصر ليست عضوا فى عصبة الامم أن تمتنع عن تنفيذ قرار المقاطعة غير أن انجلترا ـ صاحبة السياسة الملتوية دائما ـ ألحت على مصر لتنفيذ هذا القرار الذى أصدرته هيئة لم تكن مصر عضوا فيها .

هل يمكن أن نسمى هذه السياسة الانجليزية حيادا ؟

وامريكا فى بداية الحرب الاخيرة ظلت تعلن عن رغبتها فى الحياد وفى الوقت نفسه راحت تجند رعاياها ليحاربوا فى صفوف الحلفاء . ثم راحت تمد فرنسا وانجلترا بالمساعدات المالية والاسلحة الى أن

جاء الوقت المناسب لكى تدخل الحرب فدخلت الحرب ..

هل يمكن أن نسمى سياسة امريكا سياسة حياد ؟

ومصر ظلت طوال الحرب الاخيرة يردد حكامها سياسة تجنيب البلاد ويلات الحرب حتى أصبحت هذه السياسة جزءا لا يتجزأ من الامانى القومية ، واعتبر أحدهم بطل تجنيب البلاد ويلات الحرب، وغالى الآخر فأعلن أن سياسة مصر هى سياسة حياد بمعنى الكلمة، فى الوقت الذى كان سلاح الطيران المصرى يعاون فيه الحلفاء وفى الوقت الذى كان الشعب المصرى كله مسخرا لخدمة الحلفاء وفى الوقت الذى كان الانجليز أنفسهم هم الذين دفعوا الساسة المصريين الى عدم الدخول فى الحرب لان ذلك فى صالحهم ، فاذا ما هاجمت قوات المحور الاسكندرية وبعض مدن القنال ، قيل لنا : أنظروا كيف أن المحور لا يحترم حيادكم ، أنظروا كيف فشلت سياسة عدم الاندماج كلية مع الحلفاء » .. ويتناسى هؤلاء معاهدة ٣٦ وبنود معاهدة سنة ١٩٣٦ .

ولم يكن هذا حيادا من مصر بل كان تحالفا اقتضته المعاهدة المشئومة وكانت سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب لا يراد بها مصر بل يراد بها بريطانيا ولهذا لم يكن موقف مصر موقف حياد ..

* * *

وعشرات من المواقف سميت زورا وبهتانا بأنها مواقف حياد ، ولعل المستعمرين أرادوا ذلك لكى يوهموا الناس أن سياسة الحياد سياسة فاشلة ولكى يجعلوا الشعوب تفقد ايمانها بسياسة الحياد ...

ولكن الشعوب الواعية لا تقيم وزنا لكل هذه الاوهام .. لقد تنورت الشعوب وآمنت بانه اذا كان الحياد خطرا فان التحالف أشد خطورة ..

لقد آمنت الشعوب بأن الحياد حتى لو اخترقته احدى الدول فيما بعد أسلم وأشرف من الوقوف الى جانب الاعداء ..

الدفاع عن الحياد دفاع عن الاستقلال ، وأية أمة لاتدافع عن

حيـادها كما تدافع عن استقلالها أمة لا توصف بأنها محايدة ، ولا توصف بأنها محبة للاستقلال .

الشعوب تؤمن بأن مصير الدول المحايدة ـ فى السلم وفى الحرب ـ ليس فى أيدى تشرشل أو ايزنهـاور أو شـانج كاى شـيك . . بل أن هذا المصير فى أيدى الدول المحايدة ، هى التى تصنعه ، وهى التى تقرره وهى التى تدافع عنه . . الشعوب تؤمن بأنها وهى غير ذات مطامع استعمارية ينبغى أن تكون درعا للسلام وينبغى أن تعمل كل جهـدها لمنع الحرب فاذا لم تسـتطع حصرتها فى نطاق دولتين أو ثلاث . .

مصير الدول المحايدة اذن فى الدعوة الى السلام وعدم السير فى مواكب الاستعمار لهذا يجب ألا تخشى خطورة انتهاك حرمة حيادها بقدر ما تخشى انغماسها فى خلافات دولية لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ان الانضـمام الى معسكر من المعسكرات المختلفـة المتنازعة التى تهدف الى الحرب هو الانتحـار نفسه ، ونحن الشعوب المسالمة ، لا نرغب فى الانتحار .

فلنقو اذن جبهة السلام ، ولنعمل اذن على توسيع رقعة الحياد ، ولنسع اذن لمنع نشوب الحرب ، ولنجتهد فى أن نضعف جبهة الحرب ، ولا نحزن ولا نأسف اذا ما خرج ساسة شعب على اجماع ارادة أبنائه ، فان الكلمة الاخيرة تكون دائما للشعوب ، أما الحكام العتاه القساة الذين يستندون الى أعداء البلاد فمصيرهم معروف ونهايتهم محتومة وسيكون الاستعمار أول من يتخلى عنهم اذا ما كالت لهم الشعوب ضرباتها القوية .

لنتقدم جميعا لمحاربة السياسة الاستعمارية فى كل بلد عربى وفى كل بلد شرقى لا يحكمه أبناؤه الا وفقا لهوى المستعمر ، ومصالح المستعمر وقديما قالوا أن من لا يتقدم يتأخر !!

الأطباء المرضى

لقد اعتمدت السياسة كثيرا على أن الناس لا يجرأون على نقـد الكبار ولكنى تغلبت على ذلك الضعف فلم أر غير الحقيقـة ، ولم أقل غيرها .

سان جوست

ما الذى ينقصنا نحن الشعوب العربية لكى نصبح عاملا هاما من عوامل السلام والاستقرار والحرية ؟

هل تنقصنا المادة ؟

هل ينقصنا العدد ؟

هل ينقصنا الموقع الاستراتيجى ؟

هل ينقصنا الشعب الذكى ؟

هل ينقصنا الايمان القوى ؟

هل ينقصنا القدرة على الكفاح المتواصل ؟

هل تنقصنا الرغبة فى العمل ؟

كلا لا شىء من كل ذلك ينقصنا فلدينا المادة التى تملأ الدنيا ذهبا وتفيض على الشرق والغرب نورا .. أعنى البترول !!

ولدينا العدد الذى يزيد عن سبعين مليونا وهو يزيد عن سكان الجزر البريطانية !

ولدينا الموقع الاستراتيجى الذى يسيطر على القـارات الثلاث ويتحكم فى تجارة العالم بأسره .

ولدينا الشعب الذكى الذى أضاء للدنيا بأسرها طريق الحياة .

ولدينا الايمان القوى الذى تغلبنـا به على جميع المشـاكل التى وضعها الاستعمار فى طريقنا .

ولدينا القدرة على الكفاح المتواصل تلك القدرة التى جعلتنانصمد أمام الاستعمار الفرنسى والاستعمار الانجليزى ،والاستعمار التركى

ـ مجتمعا ـ مئات السنين !

ولدينا الرغبة فى العمل لكى نعاود سيرتنا الاولى فى طريق المجد والخلود ؟

اذن ما الذى ينقصنا ؟ لا شىء سوى الصراحة فنحن حقا مجاملون لانفسنا ومجاملون لغيرنا ، ونحن حقا وصدقا أقرب ما نكون الى النعامة التى تخفى رأسها فى الرمال وتعتقد ألا أحد يراها ما دامت هى لا ترى الناس ..

ان لنا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ جامعة تسمى الجامعة العربية .. هذه الجامعة العربية أنشأناها عام ١٩٤٤ وكان انشاؤها غلطة كبرى .. اذ كانت كل دولة تعتقد فيما بينها وبين نفسها أنها الجامعة العربية ولها أهدافها ، ولها سياستها ، ولها ارتباطها بالدول الاخرى ، ولها من الحقوق فى الجامعة ما ليس لغيرها ..

وكنا فعلا ـ نحن الشعوب ـ نريد أن تعيش هذه الجامعة التى ولدت وفيها العيوب الكثيرة والامراض المتعددة وأخذنا نحاول بكل ما نستطيع من قوة أن ننقذ هذا الوليد فلا نخرج به الى الشارع ، ولا نتجه به الى الطبيب ، ولا نجرى له كشف أشعة ، بل نستخدم الوصفات البلدية .. وكلما شعر الوليد بالبرد أو المرض ، زدنا عليه الاغطية حتى أصبح ـ مع مرور الزمن ـ مختفيا وراء هذه الاغطية !! وظل الوليد يكبر ـ بحكم الطبيعة ـ وتكبر معه أمراضه وعلله ، وظللنا نحن نقيم حوله الستائر ، ونضع بجانبه الاغطية ، ونحيطه بمسكنات ، ومنومات ، ونسعى دائما لنحفظه فى حجرة مظلمة لا ترى النور حتى لا يرى هو النور ..

ولم نكن نسمع عن هذا الوليد الا خيرا .. وكان الاطباء ـ وهم فى نفس الوقت مرضى ـ يتحدثون الينا .. وعندما تكون صحة المريض فى خطر ، والعلة قد استبدت به حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من الهلاك . يخرج الاطباء المرضى وعلى وجوههم الشاحبة ، الصفراء ابتسامة صفراء شاحبة ثم يقولون « ان الطفل بخير . انه أسعد مولود فى العالم !! » .. ومرت السنوات!! ونحن لما

تمتاز به من سلامة النية ، نصدق الاطبـاء ونثق فى كلامهم ولهذا فقد أخذنا نعد العدة لنحتفل بمرحلة الشباب ، وأعددنا لهذاالشاب البنطلون الطويل ، وأدوات حلاقة الذقن ، وتأهبنا لنعطيه مصروفا أكبر ، وأخذنا نعلق عليه آمالا ضـخمة كتلك التى يعلقها الاباء والامهـات على فلذات أكبادهم فى تلك المرحلة من مراحل الشباب ..

ثم ازداد الامل لدينـا شيئا فشيئا ، وقـوى الطمع فى نفوسنا فبدأنا نبحث له عن العروس الملائمة فى آسيا وافريقية ، واتجهنا نساوم غيرنا معتمدين على قوة هذا الشاب وعنفوانه ، ووجدنا جوا صالحا ملائما .. وفجأة خرجت علينـا الحكومـة المصرية بنص التقرير الطبى الذى يؤكد أن الشاب قد أصيب منذ الصغر بغاهة مستديمة ، وابتلى من أول يوم جاء فيه الى الحياة بمرض عضال قد لا يشفى منه الا اذا تغيرت وسائل العلاج ، ووسائل التدفئة ووسائل التغذية و .. و .. و ..

ثم راحت الحكومة المصرية تصف دقائق الامراض التى ابتلى بها هذا الشاب والمناقشات المخزية المؤلمة ، والخطط الكريهة التى كان يلجأ اليها الاطباء المرضى ...

وكنا نحن الشعوب نتمنى أن تكون الحكومة المصرية مبالغة .. وكنا نأمل أن تجد بعض الحكومات فى نفسها قليلا من الحياءلتدافع عن نفسها ، أو تدفع عن نفسـها هذه التهم الفظيعة التى ألصقتها بهم حكومة جمهورية مصر .. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث وأظنه لن يحدث ..

سمعنا أن حكومةالعراق كانت قد تحفظت على الضمانالجماعى ، وسمعنا أن حكومة سوريا ـ السابقة ـ كانت تقف موقفا مائعا .. وسمعنا الكثير مما نأكدنا صدقه بكل أسف ...

فهل نترك الجامعة العربية تموت ؟

هل تسمح الشعوب العربية بأن تفقد هدفا ساميا من أهدافها السامية ، وعمودا ضخما من أعمدة حياتها السياسية ؟ لا اعتقد أن الشعوب العربية ستقبل أن تموت الجامعة العربية : والا لما كانت

تلك الهزة العنيفة التى قوبلت بهما عملية هتك ستار الاجتماعات السرية ..

اننا نقول هنا بمنتهى الصراحة أن الجامعة العربية يجب أن تبقى .. يجب أن تبقى لا لخدمة العرب وحدهم ، بل لخدمة الحرية والسلام .

ينبغى أن تبقى الجامعة العربية لتدافع عن حرية شعوبها ،ولتعمل على وقوف الدول العربية كالبنيان المرصوص ضد أى تحالف أو تعاون مع العدو .. يجب أن تقف الجامعة العربية قوية متينة أمام أى طغيان يريد انحرافها نحو الحرب أو نحو الاستبداد ..

ان الجامعة العربية يجب أن تبقى – وستبقى – للعمل على تحرير شعوبها التى لم تتحرر بعد ...

أما الاساس الذى يجب أن تبنى عليه الجامعة العربية – وستبنى – فهو أساس الصراحة التامة ، والثقة المتبادلة ، ومداواة الامراض والعلل أولا بأول .. يجب ألا نترك الاختلافات تتراكم حتى يصعب علاجها . يجب ألا نمالىء المخطىء أيا كان ، ومهما كانت قوته أو سطوته .. ويجب أن نعتمد على الشعوب أولا وقبل كل شىء لاصلاح ما يعترض هذه الجامعة من عقبات ، واخطاء ..

ان الشعوب العربية – فيما اعتقد وكما شاهدت وسمعت – تؤمن بالجامعة كضمان للحرية والسلام ، ولهذا يجب أن تكون الشعوب العربية هى التى تحرس هذا البناء الضخم ، وهى التى يجب أن تقوم على العناية به .. وهى التى يجب أن تتولى تحطيم كل العقبات التى تقف فى سبيله ولهذا يجب أن تعمل جاهدة على أن تحرر الاردن من كل احتلال انجليزى حربى أو مالى ، ويجب على هذه الشعوب أن تسعى دائما لانقاذ العراق من ذلك الكابوس الذى يسيطر عليه ، ويجب على هذه الشعوب أن تعمل على تقوية هذه الجبهة العربية لتقف فى وجه كل عدوان تتعرض له ..

يجب أن تكون الشعوب العربية يقظة واعية لكل ما يدور حولها

وكل ما يدور من أجلها .. وتتولى هى بنفسها قيادة نفسها ..

يجب ألا ترحم الشعوب العربية أية حكومة عربية تخرج على الاجماع ، ويجب أن تعمل هذه الشعوب على اسقاط هذه الحكومة بأسرع ما يمكن ..

يجب على الشعوب العربية أن تقود معركة السلام فى هذه المنطقة الهامة لصالح البشرية !!

يجب ألا تقبل الشعوب العربية أن تكون عبيدا لآلهة الحرب .

يجب ألا ترضى الشعوب العربية أن تكون بلادها مسرحا للحرب .

يجب ألا تكون الشعوب العربية أداة لاذلال البشرية بواسطة الحرب .

يجب ألا توافق الشعوب العربية على أن تكون فريسة يقتسمها الامريكان والانجليز فى الحرب وبعد الحرب .

يجب أن تبقى الشعوب العربية سدا منيعا أمام الحرب أى حرب ...

الحرب العالمية الاخيرة

قدر البروفسور أربنز الالمانى فى بيان رسمى أصدرته حكومة المانيا الغربية فى ٣ ابريل سنة ١٩٥٣ ان ٥٢ مليونا من العسكريين والمدنيين ذهبوا ضحية الحرب العالمية الثانية .

شعوب .. ودولارات

((ان العالم ليختلف عن ظننا نحن الامريكان فيه فان الحقيقة الصريحة هى ان العالم فى حالة ثورة لا يمكن شراؤها بالدولارات .. ان هناك فرقعة فى كل قرية من البحر الابيض المتوسط الى المحيط الباسفيكى ..
اننا نظن أن الشيوعية وراء هذه الفرقعة.. ولكنها ليست كذلك))

القاضى الامريكى وليام دوجلاس

سأكون صريحا الى أبعد حدود الصراحة فى هذا الفصل من هذا الكتاب ؟

لماذا نكره السياسة الامريكية ، ولماذا نرتاب دائما فى نوايا الساسة الامريكيين ؟

ولماذا نرى دائما امريكا وراء كل خطر أو عدوان يقع علينا سواء كان منها أم من غيرها ؟

ولماذا نصف دائما كل ضعيف أو متردد ، أو غير صادق فى وطنيته بأنه امريكى ؟

ولماذا أخفق دعاة امريكا فى مصر اخفاقا ذريعا فلم تقم لهم حتى اليوم قائمة ؟

ولماذا تزداد الهوة اتساعا بيننا وبين الامريكيين يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة .

ولماذا لم تنجح امريكا فى خلق طائفة تدعو لها ، وتؤمن بها وتكافح فى سبيل تحقيق سياستها .

وعدت الى نفسى أدفعها الى الاجابة !!

هل نكره امريكا لانها هى التى زرعت هذا الخازوق المسمى اسرائيل فى قلب العالم العربى ، فى الوقت الذى كان ساستها

يتشدقون فيه بحبهم للعرب ، وسعيهم لما فيه خير العرب ؟

هل نكرهها لانها خذلتنا فى كثير من قضايانا السياسية ، فى الوقت الذى كنا فيه بحاجة الى معونة أية دولة صغرت أم كبرت ؟

هل نكره السياسة الامريكية لانها واضحة أم هل نكرهها لانها غامضة ؟

وهل نكره السياسة الامريكية لاننا جربناها خمسا وثلاثين عاما لم نجن منها الا الاذى ؟

هل نكرهها لانها تحاول جاهدة أن تجرنا الى حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ؟

هل نكرهها لانها وهى التى ذاقت الويل من الاستعمار البريطانى جاهدت كثيرا لتثبت دعائمه فى مصر ؟

هل نكرهها لانها تمتاز بالانانية الوقحة اذ لا يهمها الا مصلحتها الخاصة ولو كانت تلك المصلحة على اشلاء الضحايا والابرياء ؟

هل نكرهها لانها تحتقرنا فتحاول جاهدة شراء بعض منا بالدولارات ؟

وأصارح القراء بالحقيقة وهى اننا نكره السياسة الامريكية فعلا لكل تلك الاسباب التى أشرت اليها ... نكرهها حقا وصدقا . نبغضها من صميم قلوبنا ، نزدريها من أعماق نفوسنا . هذا فى الوقت الذى نعجب فيه بالشعب الامريكى ونتمنى له الخير كل الخير ، بل ونؤمن بضرورة التعاون الوثيق بيننا وبينه ...

لقد جربنا امريكا أكثر من مرة .. جربناها عندما جاء تيودور روزفلت أحد رؤساء الجمهورية الامريكية سنة ١٩١٠ واستقبله الشعب المصرى استقبالا رائعا على انه نصير الحرية ثم اذا به يمجد سياسة الاحتلال الانجليزى ...

وجربنا السياسة الامريكية فى أعقاب الحرب العالمية عندما رفض مجلس الشيوخ الامريكى الاخذ بوجهة نظر لجنة الشئون الخارجية فى المجلس بأن يكون لمصر الحق فى تقرير مصيرها بنفسها .

جربنا السياسة الامريكية فى الحرب العالمية الاخيرة حيث تنكرت

لمطالب الشعب المصرى بعد أن دخلت ميدان الشرق الاوسط ، واتخذت لنفسها فيه مكان الصدارة ، وتم هذا ـ كما يقول : هنرى بايرود ـ بغتة ودون أن تتخذ أهبتها وتستعد لذلك استعدادا كافيا » ..

ولهذا كثرت أخطاء السياسة الامريكية ، ومع ذلك لم تحاول أن تصلح هذه الاخطاء بل عمدت الى تنفيذ سياستها الاستعمارية بقوة وعنف ...

وكانت الشركات الامريكية قد بدأت تتغلغل فى الشرق فأوجب ذلك تغلغل النفوذ الامريكى لحماية تلك المنشآت ..

ثم أخذت امريكا ترسم سياستها الحربية على اعتبار أن الشرق الاوسط خط الدفاع الاول بالنسبة لها ولما كانت هذه المنطقة منطقة استراتيجية وغنية ، وذات طاقة حربية ضخمة ، فقد أرسلت امريكا جيوشها الاقتصادية ، والاجتماعية والفنية ، الى هذه المنطقة لتحتلها وتسيطر عليها ، وتشرف على توجيه السياسة فيها .. ثم راحت امريكا تبذل نفوذها ودولاراتها ، فى سبيل تكوين نظم دفاعية تهدف الى حصر النفوذ الروسى ، غير ان سياسة امريكا قد فشلت فشلا ذريعا لانها حاولت الاعتماد على الحكومات فقط ولم تحاول الاعتماد على الشعوب ، ثم انها خلقت اسرائيل فى الشرق الاوسط فأوجدت بذلك مصدر قلق دائم لبلدان الشرق الاوسط ، ثم انها اصطدمت بالسياسة البريطانية جملة اصطدامات جوهرية وتجلى هذا الاصطدام واضحا فى باكستان ، وايران ، وفلسطين .

وكان من أهم أسباب فشل السياسة الامريكية أيضا اعتمادها على الدولارات وعدم تقديرها للوعى الشعبى الذى بدأ يجتاح شعوب الشرق الاوسط ، وكذلك اعتمادها على البساطة والسذاجة فى بعض الاحيان ، واعتمادها على الخبث والمكر فى كثير من الاحوال وذلك عندما تحاول تجنيب الشعوب فى واد ... وحكوماتها فى واد آخر ...

ثم أن السياسة الامريكية دخلت الشرق الاوسط ولها هدف ضخم هو التأهب للحرب ، فأخذت تنشىء مطارات حربية فى شمال افريقية ، وتركيا وغيرها وغيرها ، والشعوب بطبيعتها تكره الحرب، وتكره العاملين على نشوب الحرب ..

وكان أخطر ما ارتكبته السياسة الامريكية من أخطاء مشروع النقطة الرابعة ذلك المشروع الذى أراد به واضعه ترومان : جعل المزايا الفنية المختزنة فى خدمة الشعوب المحبة للسلام وتنمية استثمار رءوس الاموال فى المناطق التى تفتقر الى التطور ..

هذا المشروع الذى غزا دول العالم بالمال وبالخبراء فى الزراعة والصحة والمجارى والتعليم ، وصيد الاسماك ، والمساكن الخ ..

هذا المشروع الذى أريد به ـ كما يقول ترومان ـ معاونة الشعوب على اكتشاف وتطبيق مايعتبر سر نجاحنا وهو سر الثورة الامريكية السر الذي مكن قوة علومنا وصناعتنا وثقافتنا من التغلغل فى حياتنا السياسية ، السر الذى يثبت أن الرجال الاحرار وحدهم والذين تحكمهم حكومات حرة يستطيعون أن يمكنوا سحر العلوم والفنون من العمل لمصلحة البشر وليس ضد هذه المصلحة » .

هذا المشروع الذى أريد به ـ كما يقول واضعه ـ ألا يحوى أثرا من آثار الاستعمار « فنحن لا ننوى السيطرة على الشعوب الاخرى أو استغلالها ، أو الزامها بتغيير وسائل حياتها .. »

هذا المشروع ـ مشروع النقطة الرابعة ـ ثبت انه خدعة يراد بها جذب الشعوب الى دائرة النفوذ الامريكى .. وسرعان ما كشفت الشعوب هذه الخدعة !!

فرئيس وزراء اندونيسيا يقول : لقد قامت الحكومة الاندونيسية منذ أن توليت تقاليد الحكم بمفاوضة الحكومة الامريكية لتعديل اتفاق الامن المتبادل الذى وقعه وزير الخارجية الاندونيسية السابق وكان سببا فى سقوط تلك الحكومة ، ولقد أسفرت جهود الحكومة الحاضرة عن نتائج حسنة وأصبحت المعونة الفنية التى تقدمها امريكا الى اندونيسيا تقدم فى نطاق ادارة التعاون الاقتصادى دون أن تتضمن القيود التى تضمنها اتفاق الامن المتبادل .

ويقول نهرو : لقد أرادت امريكا مساعدتنا فى مجاعة تعرضنا لها واشترطت أن توضع الحبوب فى جوالات كتب عليها : « هدية من الشعب الامريكى الى الشعب الهندى » .. ورفضت هذه المساعدة وقلت : « اذا أردتم أن تساعدونا فيجب أن تبتعدوا عن الدعاية السياسية اننى لا أريد مساعدة من امريكا اذا كانت تقوم على الاخذ دون العطاء .. لان ذلك ليس فى صالح الهند .. فأنا أريد مبدأ التعاون مع الدول ... »

ووزير خارجية سوريا الاسبق يقول : ان الشعب السورى شديد الحساسية وهو يتوجس خيفة من سائر المشروعات الامريكية ولا زلت أذكر نداءات الطلبة وصيحات العمال التى انطلقت بها حناجرهم هاتفة بالحكمة الشعبية القديمة : « تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ... »

ومصدق ـ كان الله فى عون مصدق ـ قال لمستر لوى هندرسون سفير امريكا فى طهران : « لقد اعتزمنا ياسيدى الاستغناء عن المساعدات الامريكية لعدم جدواها ..

ومصر راحت هى الاخرى ترفض كل نفوذ امريكى ، وتتجه نحو سياسة الاعتماد على نفسها ـ وعلى نفسها فقط ـ دون التأثر بسياسة امريكية أو غير امريكية ..

لقد أرادت امريكا أن تجعل من المساعدات الامريكية فخا للشعوب ولكن هذا الفخ قد وصل فى الوقت الذى قوى فيه وعى الشعوب ...

هل نستطيع أن نقول أن امريكا كانت سيئة الحظ فى الشرق .. لان سياستها انكشفت بسرعة .. أم نقول ان الشرق كان حسن الحظ لانه اكتشف السياسة الامريكية بسرعة !! أمران كلاهما حلو ...

وكذلك كان الامر فى الغرب فان امريكا انفقت ملايين الجنيهات ومع ذلك فانها لم تكسب شعبا واحدا يقف الى جوارها ـ وان اكتسبت حكومات ـ ذلك لان الشعوب تنظر اليها كما تنظر الزبائن الى تاجر يعرض بضائع قديمة أو كما ينظر رواد الحانات الى أغنياء الحروب !!

هل تقوم الحرب

« ها هى ذى الرذيلة تستند الى الجريمة »
شاتوبريان

قلنا فى فصلين سابقين أن الشعوب المحبة للسلام لم تنجح فى ايقاف العدوان لا فى عام ١٩١٤ ، ولا فى عام ١٩٣٩ ، وقلنا ان الرغبة فى الحرب قد استبدت بالمانيا ، وتركيا ، وانجلترا وفرنسا ، وغيرها من الدول التى رأت أن الحرب فرصة سانحة لتحقيق مطامعها الاستعمارية واليوم نقول اننا فى عام ١٩٥٥ أشبه ما نكون بعامى ١٩١٤ ، ١٩٣٩ ، وانه اذا لم تتدارك الشعوب المحبة للسلام ، وتبذل كل ما فى استطاعتها لانقاذ البشرية من الحرب ، فان الحرب ستقع لا محالة .

نحن الآن فى حرب فعلية وان لم تعلن رسميا .. فالاستعدادات الحربية قائمة على قدم وساق ، وميزانيات الدول الكبرى قد خصصت ثلاثة أرباعها لمعدات القتال ، والمصانع الحربية تعمل دائما لتخرج للبشرية أدوات فنائها ..

والابحاث الذرية تتقدم تقدما مريعا نحو خدمة الحرب ، ولم تعد هذه الابحاث قاصرة على انجلترا وفرنسا وامريكا بل أصبحت ، تشمل كندا ، واستراليا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا ، والمانيا الشرقية ، ورومانيا !!

وسياسة التحالف تمشى بقوة وعنف لتجذب البشرية الى الحرب بأسرع مايمكن ، وامريكا على رأس العالم الحر ـ الحر اسما فقط ـ قد ابتليت بحمى التكتلات والمحالفات حتى أن دالاس وزير خارجية امريكا يسرع الى مانيلا ليقضى بها أياما عديدة لعله يوجه المؤتمر وجهة تتفق والسياسة الامريكية .. ولما كانت امريكا هى التى دعت لعقد هذا المؤتمر ، الذى شمل دولا ثمانية : انجلترا ، وامريكا ، وفرنسا ، واستراليا ، ونيوزلندا ، والفلبين وباكستان وسيام فقد

برزت السياسة الامريكية فى القرارات التى اتخذها المؤتمر والتى تتلخص فى الدفاع ضد أى عدوان مسلح سافر يقع من الخارج ، والدفاع ضد أعمال التخريب الداخلى ، ونشاط العناصر الهدامة ثم الانعاش الاقتصادى والعمل على رفع المستوى الاجتماعى لشعوب منطقة جنوب شرقى آسيا ، وهذه القرارات أريد بها — كما يقول واضعوها بكل أسف — خدمة الامن والسلام !

وقد اقترحت الولايات المتحدة الامريكية تعاون الدول الاعضاء فى ميدان الطاقة الذرية ، والاتفاق على وسائل تنفيذ الخطط العسكرية وانعقاد لجنة الخبراء العسكريين فى الشهر المقبل وقد وافق المؤتمر بالطبع على كل هذه الاقتراحات .

وبذلك ضمنت امريكا لنفسها السلامة فى هذه المنطقة ! اية سلامة ؟

أما اليابان التى عقدت معها الولايات المتحدة الامريكية اتفاقية لزيادة العون الامريكى الى درجة تمكنها من تسليح ١٦٠ الف يابانى فقد استاءت من هذه الاتفاقية وأسقطت رئيس وزرائها يوشيدا وجاءت برئيس آخر هو : هاتوياما الذى اختار لوزراة الخارجية شيجمتسو الذى كان مجرم حرب وحكم عليه بالسجن .. أخذت وزارة هاتوياما على عاتقها تغيير هذه السياسة وعدم الاقتصار على الولايات المتحدة فى الصداقة !! بل اتجهت نحو روسيا والصين الشيوعية..وان كانت أيضا قد وافقت على اعادة تسليح اليابان.. وهنا مكمن الخطر ..

أما الولايات المتحدة ، والصين الوطنية فقد عقدتا معا اتفاقا لنصرة تشانج كاى شيك اذا ما اعتدى عليه ..

وفى الوقت الذى تتأهب فيه دول افريقية وآسيا لعقد أخطر مؤتمر دولى شهدته القارتان ، تحاول الدول الاستعمارية توجيه هذا المؤتمر وجهة استعمارية ، وقد بدأت هذه المحاولات عندما اقترح وزير خارجية نيوزيلندة فى حلف جنوب شرق آسيا توجيه رسالة ترحيب بالمؤتمر الاسيوى ورد وزير الخارجية الامريكيةعلى

ذلك بقوله انه يرحب بالاقتراح لانه على الاقل يزيل مايساور بعض النفوس من أن امريكا تعارض المؤتمر الاسيوى ...

وقد بدأ المؤتمر بداية وطنية توحى بأنه لن يكون مطية للاستعمار بأية حالة من الاحوال ، وذلك عندما اجتمعت وفود بعض الدول التى وجهت الدعوة للمؤتمر ، وقال فى ذلك الاجتماع وزير خارجية سيلان : جون كوتيلا والا : « ان ما تبذله امريكا من مساعدات يجعل الموقف الدولى أسوأ مما هو عليه أو يجعل الدولة التى تحصل على هذه المساعدات أشبه بمطية للولايات المتحدة .. »

كما أن على ساستروافيد جوجو رئيس وزراء اندونيسيا قد صرح بأن هذا المؤتمر لن يفكر فى الانضمام الى المعسكرين كما انه لن يفكر فى انشاء كتلة دولية ثالثة .

هذا فى الوقت الذى تنجح فيه تركيا فى توقيع ميثاق بينها وبين اليونان ، ويوغسلافيا ، وتتفق يوغوسلافيا مع ايطاليا فى لندن — لانهاء حالة النزاع على تريسية ، وتتفق بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة على اعطاء المانيا الغربية السيادة التى ظلت تنشدها — كما وافقت الدول الاربع على اعادة تسليح المانيا ، ولما كانت المانيا دولة حربية ضخمة فقد سارعت منظمة حلف الاطلنطى الى دعوتها للاشتراك فى المنظمة وبذلك أصبح سلام أوربا فى خطر ، كما أصبح سلام آسيا فى خطر ...

* * *

لقد استولى هتلر على الحكم فى عام ١٩٣٣ وفى عام ١٩٣٥ أعلن التجنيد الاجبارى وأعاد تأليف جيش المانيا وبعد سنوات أربع أعلنت المانيا الحرب .

* * *

ان دول حلف الاطلنطى اليوم تملك ١٠٠ فرقة عسكرية وهى تحاول جاهدة أن تجند ٤٠٠ فرقة لانها تعلم أن روسيا تستطيع تجنيد هذه القوة فى شهر واحد ...

ودول حلف الاطلنطى وغـــيرها من المعســكرات التى تخـدم الاستعمار تسعى لتجنيد أكبر عدد ممكن .

والى جانب حمى التسليح توجد أيضا حمى الاحلاف التى تحمل امريكا لواءها وتسعى جاهدة لمحاصرة روسيا عن طريقها ، وهى فى هذه الاحلاف تعتمد على دولاراتها ..

ان التحالف العـراقى التركى ، والتحالف التركى الباكســتانى ، وحلف جنوب شرق آسيا ، وسلسلة الاحلاف التى ارتبطت بها دول جنوب أوربا ، وغرب أوربا كل ذلك يدنى العالم من الحرب ، ويدفعه الى الدمار ...

هل يعيد التاريخ نفسه بعد عام أو عامين أو ثلاثة ؟

هذا ما يجب أن نحاربه بكل ما فى أيدينا ـ نحن الشعوب ـ من قوة ، مهما كلفنا الامر ...

ان الحرب تستند الى الاحلاف ..

والحرب هى الرذيلة .. والاحلاف هى الجريمة !!

ومحال أن نعيش مهددين بالرذيلة ، والجريمة معا ...

فى الحرب العالمية الاولى

خسر العـــالم ٤١٫١٢٠٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيه
خسرت فرنسا ١٫٨٢٠٫٠٠٠ شخصا
« المـانيا ٢٫٧٥٨٫٠٠٠ «
« بريطانيا ١٫٠٣٦٫٠٠٠ «
« ايطاليـا ١٫٧٢١٫٠٠٠ «

لن تقوم الحرب

ما الفائدة التى جنيناها من الحروب التى استمرت طويلا بنشاط وحقد ؟ لا شىء الا دماء بلاد بأسرها وذبح مئات الالوف من الرجال الذين لو استخدموا فى سبيل آخر لأدوا لأوطانهم أكبر الخدمات ، ملايين من الجنيهات لو أنفقت لخدمة البشرية لما اشتكى أحد جوعا ، ولا مرضا وفوق ذلك فان الحرب رغم ضحاياها العديدة لم يستفد منها حتى أولئك الذين أشعلوا نارها لقد كانوا دائما فى مقدمة ضحاياها

فردريك الثانى

احساس عميق ينبعث من نفسى ويكاد يسيطر على كل مشاعرى وهو أن الحرب لن تقوم فى السنوات القليلة المقبلة ، ويبدو هذا الاحساس غريبا اذ اننى لست من المنجمين ، كما اننى لست بطبيعة الحال من الخبراء العسكريين ، ولست أدعى لنفسى صفة كونى من المطلعين ، على بواطن الامور ، أى أمور .. ولكنه الايمان الصادق ، والاحساس العميق ، والحاسة السادسة التى « ابتلينا » بها .

* * *

لن تقوم الحرب بالرغم من تحويل مجلس النواب الامريكى الرئيس ايزنهاور سلطات خاصة لاستخدام القوات المسلحة الامريكية اذا لزم الامر دفاعا عن فرموزا وجزر بسكادور ..

* * *

لن تقوم الحرب بالرغم من التحذير الذى وجهه شواين لاى رئيس حكومة الصين الشيوعية الى الولايات المتحدة الامريكية .

لن تقوم الحرب بالرغم من ملايين الجنيهات التى تنفقها امريكا وانجلترا وفرنسا ، وروسيا لمسايرة التطور فى أساليب الحرب ..

***

لن تقوم الحرب بالرغم من ذلك البيان القاسى الذى أصدره مجلس حلف الاطلنطى يتهم فيه سياسة الاتحاد السوفيتى بأنها تعتمد على قوة عسكرية تتزايد باستمرار وتستهدف ضعاف الامم الغربية واثارة الشقاق بينها .

***

لن تقوم الحرب بالرغم من ذلك القرار الذى اتخذه مجلس حلف الاطلنطى بشأن استخدام الاسلحة الذرية فى حالة نشوب حرب عدوانية ...

***

لن تقوم الحرب بالرغم من الصراع العجيب الرهيب فى منطقتى كوريا الشمالية والجنوبية .. والذى يتمثل فى مد كل من الفريقين المتنازعين بالاسلحة الوفيرة تأهبا للحرب فى أية لحظة .

***

لن تقوم الحرب بالرغم من الاحتياطات العسكرية الضخمة التى تجرى على ساحل الصين الشرقى ، والتى تعيد الى الاذهان عامى سنة ١٩١٤ ، ١٩٣٩ !

***

لن تقوم الحرب بالرغم من تصريح دالاس القائل بأن الحرب قد تحدث نتيجة لتدخل امريكا فى الشرق الاقصى .

***

لن تقوم الحرب بالرغم من تهافت امريكا وانجلترا على توقيع دول الشرق الاوسط ، للاحلاف العسكرية ..

***

لن تقوم الحرب بالرغم من السياسة التى يقوم بها سردار بانل

أحد زعماء الهنـد ، لاضعاف موقف نهرو المحايد ، ولتحويله عن سياسة عدم التحالف والتى يخدم بها العالم ...

* * *

لن تقوم الحرب بالرغم من موقف حكومة باكستان الحالى وميلها للدول الاستعمارية وخاصة فيما يتعلق بحلف تركيا باكستان .. ولن تقوم الحرب بالرغم من قبول هذه الدولة الاسـلامية ـ بكل أسف ـ مبدأ المساعدات الامريكية على هذا النطاق الواسع .

* * *

لن تقوم الحـرب بالرغم من اعطاء المـانيا الحـق فى التسليح وتشجيعها لتحتل دورها بين الامم العسكرية التى تتأهب للحرب على نطاق واسع .

* * *

أساطيل من القذائف الموجهة ، وقاذفات اللهب التى تسبق الصوت، وبالرغم من القذائف المجنحة التى تقطع آلاف الاميال بسرعة ٦٠٠ ميل فى الساعة .. وبالرغم من الاسراف فى اخراج القنابل الذرية لن تقوم الحرب بالرغم من استعداد امريكا لحرب شاملة قوامها والهيدروجينية وغيرها من أسباب الموت والدمار ...

* * *

لن تقوم الحرب بالرغم من كل تلك الاسباب التى تؤكد نشوب الحرب ، وذلك لان الشعوب تكره الحرب ...

* * *

الشعب الالمانى ، الذى ذاق الامرين من الحروب الماضية ،واضطر فى بعض الاحيان الى أن يأكل نشارة الخشب ، واضطر فى كثير من الاحيـان الى أن يقف موقف الشـعب الذليل يستجدى خصومه لن يقبل الحرب .

* * *

الشعب الروسى الذى قدم فى الحربين المـاضيين عشرات الملايين

من أبنائه والذى فقد الكثير فى معارك ستالينجراد ولينينجراد وموسكو ، لن يقبل الحرب ...

* * *

الشعب الانجليزى الذى يشعر بأنه أصبح اليوم فى المنزلة الثالثة أو الرابعة وقد كان دائما يحتل المنزلة الاولى .. والذى يحس اليوم من صميم أعماقه انه محتل احتلالا امريكيا عسكريا واقتصاديا لن يقبل الحرب .

* * *

والشعب الفرنسى الذى يتجاذبه اليوم عشرات التيارات ، وتقوم فيه كل عام عشرات الوزارات والذى ينحرف الى اليسار بقوة وعنف ، لن يقبل الحرب لانه لم ينس بعد الذل الذى أذاقه الالمان اياه فى الحرب الاخيرة .. ولم ينس بعد الضحايا التى قدمها فى كل حرب ضروس خاضها .. سواء انتصر أو انهزم ..

* * *

وشعب الصين القوى يؤمن اليوم بالسلام ، ويسعى دائما لتفادى الحرب .. ولقد ذكر نهرو أخيرا انه تأثر كثيرا بالرغبة فى السلم التى أبداها كل من ماوتسى تونج زعيم الصين وتشوين لاى رئيس وزرائها كما ذكر نهرو أيضا : أن ماوتسى تونج قد أخبره بأن الصين لن تستطيع الوقوف على قدميها فى الميدان الاقتصادى قبل خمسة عشر عاما أو عشرين عاما يتم خلالها تنفيذ ثلاثة أو أربعة من مشروعات السنوات الخمس ومن ثم فان الصين الشيوعية راغبة حقا فى السلام كما انها لا ترغب فى التدخل فى الشئون الداخلية لغيرها من الدول !!

* * *

والشعب الامريكى هو الآخر يكره الحرب ، ولقد قابلت عددا كثيرا من هؤلاء الامريكيين فى داخل مصر وخارجها وفوجئت

عندما وجدت الرغبة العميقة فى السلام .. وفوجئت أكثر عندما سمعت منهم أن هذه هى رغبة الشعب الامريكى .. وفوجئت أكثر وأكثر عندما علمت أن هناك محاولات شعبية كثيرة تبذل فى امريكا لتدعيم جبهة السلام ..

وبالطبع فان كل الشعوب الاخرى وهى التى ذاقت من الاستعمار ويلاته ، ومصائبه ، وهى التى ذاقت من الحروب ، الويل والثبور ، هذه الشعوب كلها تكره الحرب .. وهذه الشعوب نفسها هى التى ستحول دون نشوب الحرب ..

وكل الذى نريده من الاحرار فى الشرق وفى الغرب ، وكل الذى نريده من ضحايا الاستعمار فى الشرق وفى الغرب أن يتكتلوا معا لا فى كتلة ثالثة ، ولا فى جبهة ثالثة ، ولا فى محور ثالث بل يتكتلوا حول فكرة موحدة هذه الفكرة تحارب كل أنواع الاستعمار .

وتحارب كل أصناف الاستغلال .

وتحارب كل صور الاستبداد .

هذه الفكرة ينبغى لها أن تحارب دعاة التردد والهزيمة فى كل شعب .. وتحارب الميوعة ، والرقاعة فى سياسة بعض الدول الصغيرة ..

هذه الفكرة هى التى يجب أن نؤمن جميعا بها .. وهى التى تنتصر اليوم وستنتصر غدا لانها فكرة الحق .. مع الحق .. والى الحق ...

يكافحون من اجل السلام

ان هذا الجـو الذى نحيـا فيه قد عطنه الفساد وشاع فيه القنوط وهو يخنقنا بدخان القنابل والمدافع ويكتم أنفاسنا ويجعل أصواتنا تتلاشى فى صرخات الحـرب وأنات المحتضرين من الجوع .

جوزيه دى كاسترو

عالم برازيلى

فى هذا الجو المشحون بكهرباء الحرب ، والمملوء بالاستعدادات القائمة على قدم وساق لاشعال نيران الحرب ، والذى تجاوزت فيه ميزانيات الحرب فى كثير من الدول أكثر من ٦٠٪ من الميزانيات العامة ، تعمل طائفة من الرجال ذوى النوايا الطيبة للحيلولة بين الشعوب وبين الاندفاع فى سياسة الحرب .. هؤلاء الرجال الذين يوجدون فى كل الشعوب المحبة للحرية ، الساعية الى السـلام ، العاملة من أجل الديمقراطية الحقة هم الذين تعلق الشعوب عليهم آمالها .. وتجد فيهم الدليل الواضح على أن العالم مازال بخير ، وهؤلاء الذين يدعون اليوم الى السلام لا يفعلون ذلك تلبية لنداء قلوبهم الرقيقة وانما يفعلون ذلك تلبية لنداء شعوبهم أيضا فان الشعوب فى كل بلد من بلاد العالم تكره الحرب ، وتمقت الحرب ، وتحتقر كل من يعمل على اشعال نيران الحرب .. هذا العامل الذى يخرج من مصنعه فى الصباح ثم يعود فى المساء ، ويظل فى بيته بين أولاده ، حتى اليوم التالى ، ما الذى يحبب الحرب اليه ، ما الذى يجعله يغير وضعه اليومى ، ما الذى يجعله يفترق عن أولاده ، ما الذى يجعله يشعر أن أولاده سيتيتمون من بعده اذا ما قامت الحرب ...

وهذا المـوظف ، وهذا الطالب ، وهذا التاجـر ، وكل طوائف

الشعوب ما الذى يجعلها تحب الحرب ،وما الذى يدفعها الى السعى لاعلان الحرب ؟ لا شىء . طائفة واحدة هى التى تسعى ، وهى التى تجد وهى التى تجاهد من أجل الحـرب لانها لا تعيش الا فى عالم موبوء بالحرب ...

وطائفة الدعاة الى السلام يتزعمهم بلاشك جواهر لال نهرو .. ونهرو ـ بغض النظر عن آرائه السياسية ـ فان له برنامجا واضحا فى خدمة صيانة السلام العالمى ، وطالمـا صرح بوجوب حل جميع المشكلات العالمية بوسائل سلمية ومن هذا البرنامج : الابتعـاد عن الكتل الدولية ، وان يكون صـديقا لجميع البـلاد دون تورط فى أحلاف عسكرية « وما ذلك الا لان عدم التورط قد يزيد من قدرة الهند على التوسط واصلاح ذات البين » ورغما من أن هذه السياسة أغضبت الطرفين فى أول الامر الا انها ظفرت فيما بعـد بالاحترام والتقدير .. ويشرح نهرو نظريته فيقول :

« اننى أتمنى أن توجد منطقة دائمة الاتساع فى هذا العـالم ـ أتمنى منطقة دائمة الاتساع من الدول الاسيوية ، نصمم على الا تخوض الحرب مهما يقع من الاحداث . أريد أن تعلن الدول الاسيوية ، وغيرها من الدول أيضا ـ وأنا أقصد هنا جيراننا ـ أريد ان تعلن هذه الدول بوضوح ، فى مواجهة العناصر المتناحرة التى تتكون من تلك الدول التى تضطرم بعوامل الحقـد والكراهية ضـد بعضهـا البعض ـ أنها ستظل هادئة ساكنة ، وأنها مهما يحدث لن تدخل ساحة الحرب ، وأنها ستحاول على الاقل أن تحصر الحرب فى دائرة المناطق الاخـرى ، وأن تنقذ منطقتها هى وتحاول أن تنقـذ سائر المناطق . ان كلمة الحياد خطأ مطلق فى غير أوقات الحرب ، فليس ثمة حياد ما لم تكن هناك حرب ، فاذا كنتم تعتقدون أن هناك اليـوم حربا فنحن اذن محايدون . واذا كنتم ترون أن هناك اليوم حربا باردة فنحن بالتأكيد محايدون . اننا لن نبيح لانفسنا أن نخوض حربا باردة أستميحكم القول بأنها من بعض النواحى أسوأ من حرب القتال . أن حرب القتال كارثة لاتعرف الحدود ، ولكن هذه الحرب

أسوأ لانها أكثر حطة وخسة . فهى تهبط بمستوى القيم على الدوام وليس فى نيتنا أن نخوض هذه الحرب مع الخائضين . لايهمنا من هو على حق فى هذا المقام ومن هو على باطل ،وانما يهمنا أن نبقى بمعزل عن هذه المباراة فى تبادل الشتائم » .

« ان سياستنا فى الهند ، كما تعلمون ، لا تهدف الى الانحياز لأية كتلة دولية ، بل ترمى الى محاولة الاحتفاظ بالعلاقات الودية مع جميع الدول ، وطبيعى أن تكون العلاقات مع بعض الدول أوثق منها مع البعض الآخر ، ولكنها كلها علاقات ودية مع الجميع وقد فكر بعض الناس فى الماضى فيما يسمونه « كتلة ثالثة » . وانى لأسمح لنفسى أن أقول ان علاج الامر من هذه الناحية ليس بالعلاج الصائب. ذلك اننى كنت أكره الكتلة الاولى ، والكتلة الثانية ، فلماذا اذن أحب كتلة ثالثة ؟ !

« على اننى قد اقترحت أن يكون العلاج الصحيح هو انشاء منطقة ثالثة لا تنحاز الى جانب الحرب . واننى لأعتقد انه من الخير للدول التى يعنيها الامر وللعالم أجمع ، أن تتسع رقعة هذه المنطقة التى أسميها « منطقة اللا حرب » أو منطقة مقاومة الحرب وأن تكون مصدر نفوذ قوى ، وجهد قوى فى سبيل السلام » .

« وكيف السبيل الى ذلك » عندى أن السبيل الى ذلك لا يكون بعقد المحالفات والمعاهدات الرسمية لانك بمجرد الحديث فى هذا الصدد ، تجد نفسك قد عدت الى فكرة الكتلة والتكتل . فالمسألة فى الحقيقة اذن مسألة تعاون ودى ، لا تشوبه الرسميات ومسألة ادراك كل طرف لوجهة نظر الآخر وقد يتاح لنا تحقيق ذلك فى نطاق هيئة الامم . وقد يتاح لنا خارج هذا النطاق . ومهما يكن من أمر فقد تم الى حد ما تشكيل هذه المجموعات بطريقة غير رسمية ، وأفاد منها جميع الذين يعنيهم الامر » .

* * *

ومنذ ظفرت الهند باستقلالها ، بل قبل ذلك ، عمل نهرو دائبا

على عقد أواصر الصداقة بين الدول الاسيوية والافريقية . وتوثيق عرى التعاون الايجابى معها ، بحيث يمكن استخدام قوتها فى اقامة وضع دولى عادل . وكانت أول خطوة فى هذا السبيل عقد مؤتمر العلاقات الاسيوية بنيردلهى فى مارس سنة ١٩٤٧ . وقد افتتحه السيد نهرو بخطاب قال فيه :

« اننا نقف على أعقاب حقبة ، وعلى أعتاب حقبة أخرى من التاريخ،وعلى هذه الاعتاب التىتفصل بين عصرين من عصور التاريخ والجهد البشرى نستطيع أن نلقى نظرة خلفية الى تاريخنا الطويل ونظرة أمامية الى المستقبل الذى يتكون ويتجسم تحت أنظارنا . وقد أصبحت آسيا فجأة ، بعد أمد طويل من الخضوع والاستكانة، شيئا هاما فى شئون العالم مرة أخرى . ونحن اذا استعرضنا ألوف السنين التى طواها التاريخ ، لوجدنا قارة آسيا هذه التى جمعتها بمصر على الدوام زمالة وثيقة فى عالم الثقافة ، قد لعبت دورا ضخما فى تطور الانسانية . فمن هنا بدأت الحضارة ، وبدأ الانسان مغامرته الخالدة فى الحياة . وهنا راح العقل الانسانى يبحث جاهدا عن الحقيقة ، فأشرقت روحانية الانسان وتألقت كالمنارة يشع نورها على العالم أجمع » .

« ان آسيا هذه التى كانت زاخرة بالحيوية والحركة والتى طالما نبعت منها الثقافة أنهارا دافقة فى كل صوب ، أصابها الركودوالجمود حينا من الدهر ، فبرزت الى مقدمة الصفوف أمم أخرى وقارات أخرى استطاعت بحيويتها الجديدة أن تنتشر وأن تستولى على أجزاء كبيرة من العالم . فأصبحت هذه القارة الجبارة مجرد حقل تتنافس فيه شتى ألوان الاستعمار الاوربى وأصبحت أوربا مركز التاريخ والتقدم فى الشئون البشرية » .

« وهاهو ذا المنظر قد بدأ يتغير الآن اذ أخذت آسيا تستردوعيها ووجودها .. اننا نعيش فى عصر هائل من عصور الانتقال ، وقد بدأت الخطوة الثالثة تتحقق فعلا باتخاذ آسيا مكانها الحق بين غيرها من القارات » .

ونهرو : يتزعم اليوم آسيا، ويحاول أن يوقظ فيها ثورة الحرية حتى لا يظل بلد من بلادها غير متمتع بالحرية . .

* * *

تلك كلمات متناثرة عن آراء نهرو وأهـــدافه ونحن الشـعوب المسالمة ، ننظر الى هذه الآراء بكل احترام وتقـدير ، ونحن أيضا نبارك كل جهود تبذل لصيانة السلام العالمى ، وكان سرور الشعوب المحبة للحرية أكثر وأكثر عنـدما صدر فى مصر بيـان وقعه نهرو وجمال عبد الناصر هذا البيان جاء فيه :

عقـدت خلال يومى ١٥ و ١٦ فبراير أثناء زيارة السـيد نهرو رئيس وزراء الهند للقاهرة مباحثات ودية غير رسمية بين سيادته والسيد رئيس وزراء مصر تناولت موضوعات متعددة سـياسية واقتصادية واجتماعية بشأن مسائل السلم العالمى ورخاء الشعوب.

وتناول الرئيسان بصفة خاصة الموقف فى الشرق الاوسط وأقطار جنوب شرقى آسيا والشرق الاقصى .

ولقد واجهت مصر والهند فى الماضى القريب من المشاكل والشئون المتماثلة ما قرب بين القطرين ووثق بين الروابط بينهما ولعل الاحداث العالمية واشتراكهما فى هيئة الامم ساعدت على التقارب بين القطرين.

ولقد أظهرت المحادثات بين الرئيسين وجـود اتفاق فى وجهـة نظرهما بشأن المسائل الدولية الهامة .

ونظرا الى التطور الهائل فى الاسلحة أصبحت الحرب الآن وبالا ودمارا على الانسانية . فلن تحل المشاكل الآن بالحرب لذلك يعتقد الرئيسان انه من الواجب بذل كل الجهود لمنع الحرب وتهيئة جو من السلم العالمى .

فالمشاكل الدولية يجب حلها بالمفاوضات السلمية. وان الاحلاف العسكرية وتكتيل القـوى التى تزيد التوتر والتسابق فى التسليح لا تكفل السلامة فى أية دولة .

وان عصر الذرة ليستلزم تقييد استعمال الاسلحة ذات التدمير واسع النطاق واستخدام الذرة فى أغراض السلم وبخاصة لتقدم المناطق المتخلفة .

وكلا الرئيسين يعطفان كل العطف على كل جهود تبذل فى سبيل تحقيق حرية الشعوب المستعمرة وأمانيها .

ولقد استعرض الرئيسان ما تواجهه حكومتاهما من اعباء فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية ويهدفان الى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية ورفع مستوى المعيشة لشعبيهما .

وقد بحث مدى ما يمكن التعاون عليه فى هذه النواحى ولا سيما ما يتفق منها مع خطط التقدم المرسومة .

ومن المتوقع أن يتقابل الرئيسان مرة أخرى فى القريب العاجل فى دلهى لاستمرار اتصالاتهما الودية كما ينتظر أن يلتقيا فى المؤتمر الاسيوى الافريقى فى اندونيسيا ويأملان أن هذا سوف يساعد على تنمية الرفاهية والسلام فى العالم » .

وقد عقد نهرو أيضا مع تيتو ميثاقا للسلام وأصدرا بيانا اعترفا فيه بأن يوغوسلافيا والهند كرستا جهودهما لدعم السلام وحل المنازعات الدولية بالطريق السلمى وتنظيم علاقاتهما الدولية بطريقة تزيدها توثيقا كل يوم .

وقال ـ نهرو وتيتو : ان الحرب لا تحل المشاكل ولكنها تزيدها صعوبة وتعقيدا ، بل تخلق صعوبات شديدة ومشاكل جديدة ،وان الفائز فى الحرب الذرية المحتملة الوقوع سيكون أشد الفريقين خسارة لانه سيضطر الى تطهير المدن الملوثة بالاشعاع الذرى واطعام ضحايا القنابل الذرية والهيدروجينية ومعالجتهم وتوزيع الطعام والثياب والعقاقير الطبية والخيام على اللاجئين ؟..

وليس هؤلاء فقط هم الذين يدعون الى السلام بل عددا آخر يدعون الى السلام ومن أى البلاد هؤلاء انهم من امريكا .. امريكا

معقل الرأسمالية والدعوة الى الحرب .

من يصدق أن هارى ترومان يقول :

« اذا لم يأت السلام فلن يكون هناك عالم انكم تستمعون الى رجل يعرف ما يقول » .

والى جانب هارى يوجد الجنرال دوجلاس مكارثر ، ودوجلاس مكارثر كان قائدا امريكيا سابقا وأعرف الناس بالحرب وويلات الحرب ...

انه يبكى عندما يخاطب آلافا من مواطنيه ويقول : « أيها الناس انتم لا تعرفون ما هى الحرب ، انها الدمار انها الفناء .. انها « فرانكشتاين » البشرية الذى يقضى على هؤلاء وهؤلاء .

لم تعد الحرب طريقا للمغامرة يستطيع بها أى قيصر أو اسكندر أن يبلغ الجاه والسلطان والملك العريض وأن يجد لنفسه مكانا فوق الشمس

ان خسرتم الحرب فنيتم جميعا ، وان كسبتم فلن تتمتعوا بما كسبتم .. انها انتحار للمنتصر وللمهزوم .

والغاء الحرب رحمة يقصر الخيال عن وصفها ، فيها نهاية للاضطراب الدولى والفردى وقضاء على الفقر ونهاية للدكتاتورية .

فتسلط فرد على شعب بأسره وما يتذرع به من مبادىء اشتراكية أو فاشية أو ما شابهها يرجع أولا الى قدرته على شن الحرب أو اقرار السلام . ألغوا الحرب تصبح رياسة الدولة مجرد وظيفة مدنية ادارية لا خطر منها .

لقد كان الغاء الحرب فى الماضى ضربا من الخيال .. ولكنها اليوم مع ما !صاب العلم من تطور أصبحت مشكلة انسانية انها ليست معادلة أخلاقية يعكف عليها رجال الفلسفة والكهنوت ويشرعون فيها ما شاء لهم خيالهم .. انها مشكلة الجماهير .. مشكلة شعوب الارض بين الفناء والبقاء .

وعشرات من الزعماء والقادة ، لا يريدون الحرب ..

ألا ترى معى اننا لسنا بعيدين عن الحقيقة اذا ما قلنا أن دعاة لن ينجحوا فى اعلان الحرب .. لان الشعوب ستقف سدا منيعا أمام رغبتهم الجنونية .

يا أخى قل لى

متي تكون نهاية الاستعمار

« الشقى الشقى فى الارض شعب يومه ميت وماضيه حى »
الشابى

لم تكن هذه الكلمة فى حسابى أيها القارىء ولكن رئيس المطبعة وجد نقصا فى عدد صفحات « الملزمة » الاخيرة فطلب منى أن أكتب له ثلاث صفحات يكمل بها الكتاب ووجدتها فرصة طيبة لكى أناجيك وأنت أخى وصديقى ولكى أبثك همومى وأحزانى وأتحدث اليك حديثا صريحا خالصا لله وللانسانية .. ولا اكتمك الحقيقة اننى ارتحت كثيرا لهذا اللقاء الغريب بينى وبينك .. اللقاء على أصوات ماكينات الطباعة ، وآلات « التدبيس » والتجليد ، وعلى هذا المكتب الصغير النائى فى أحد أركان المطبعة .. ولا اكتمك الحقيقة مرة أخرى اذا ما قلت لك أن منظر اخوانى العمال وهم يعملون والعرق منهمر على جباههم ونحن فى هذه الساعة المتأخرة من الليل، قد زادنى ايمانا بمستقبل هذا الشعب القوى .. الذى يمتد من شمال افريقية الى ما بعد الفرات .. والا اكتمك مره أخرى الحقيقة اذا ما قلت لك أن منظر العمل ـ أى عمل ـ يبعث فى نفسى الامل فى نصرة قضية الحرية .. ولهذا فقد تساءلت بينى وبين نفسى ما الذى ينقصنا لكى نعود الى ماضينا المشرق ونقود معركة الحرية ما الذى ينقصنا لكى نعود الى ماضينا المشرق ونقود معركة الحرية ونجاهد من أجل رفعة الانسانية ؟ ورحت أضع فى ذهنى أسئلة أوجهها اليك والى نفسى والى زملائنا فى العراق ، وفى سوريا ، وفى لبنان ، وفى الاردن وفى شمال افريقية وفى كل مكان يستطيع فيها

القارىء أن يقرأ هذه السطور !

هل فكرت يوما فى أن تضع نهاية لهذا الاستعمار ؟

هل فكرت يوما فى أن تساهم بجهدك فى معركة الحرية ؟

هل فكرت يوما فى أن تبذل دمك ودمعك ، وعرقك فى سبيل وطنك ؟

هل فكرت يوما ما فى أن تؤدى ضريبة الـــدم والواجب التى يفرضها عليها انتسابك الى هذا الوطن الكبير المستعبد ؟

هل فكرت يوما فى أن تعيش ــ ولو فترة قصيرة ــ انسانا لايفكر الا فى وطنه ورجلا لا يسعى الا لخدمة بلده .. أنا مؤمن تمام اليقين انك فكرت فى مثل هذه المواضيع وأومن ايمانا صـــادقا بأنك قـــد ابتدأت تجيب على هذه الاسئلة بعملك وجهدك ودمك ، ودمعك ، وعرقك ، وتفكيرك ولكن ما الذى حدث ؟

ما الذى جعلك تقف فى منتصف الطريق ؟

ما الذى جعلك لا تقدم على العمل ..؟

ما الذى جعلك تفضل نفسك على بلدك ؟

أنا أعرف السبب .. وقد لمسته بنفسى ..

كنا فى الجامعة طائفة من الشباب لا نفكر الا فى مصر .. ولا نعمل الا من أجل مصر .. صباحنا لمصر ، مساؤنا لمصر ، كل دقيقة من حيـــاتنا لمصر وبمصر .. وكنـــا نستوطن الســـجون والمعتقلات ، لا نقضى خارج السجن أقل مما نقضيه داخله ، وكنا نعيش دائما مشردين معذبين ، نخرج من روض الفرج الى الجامعة مشيا على الاقدام لنتفادى ضباط البوليس الذين كانوا يقفون على الكبارى يقبضون علينا كما يقبض على المجرمين ومعتادى الاجرام .

وفى الوقت الذى كنا فيه لا نجد فى بعض الايام ما نتغدى به كانت تعرض علينا مئات الجنيهات من الاحزاب عرضا سريا مصحوبا بشتى المغريات .. وكنا ــ والحق يقال ــ لا ننتظر جزاء ولا شكورا ؟

وابتدأ القلق والخوف ، والخطر يدخل صفوفنا .. سمعنا والد أحـــدنا يقول له على مسمع منـــا : يعنى حتعمل لك ايه بلدك ..

شايف فلان وفلان اللى ضحوا بحياتهم .. اللى باعوا أطيانهم ، اللى قضوا كل حياتهم فى السجون جرى لهم ايه ، دلوقت .. حد فاكرهم .. حد سال عنهم .. أهم دلوقت مرميين فى الوزارات والمصالح .. كتبة أرشيف ، موظفين باليومية ، وزملاؤهم أصبحوا من زمان وزراء ورؤساء وزارات .

وابتدأت موجة اليأس تدب فى بعض القلوب : اشمعنى انت يعنى اللى عامل وطنى قوى .. هو مافيش فى البلد حد الا انت .. ايه يعنى انت ؟ وايه يعنى مجهودك .. هو انت اللى حاطلع الانجليز .. هو انت اللى حتخلى البلد تبقى كويسه زى زمان .. يا سيدى خليك فى نفسك .. وخليك على البر .. واهو اللى يجرى علينا ، يجرى على الناس » .

ثم أخذت صيحات النفعية تدوى فى نفوس بعض الاصدقاء : انت شايف فلان .. فلان زميلنا النهاردة أهو دخل مجلس النواب ، وسنه ٢٥ سنة انما الحزب بتاعه رشحه ونجحه وضمن أن الطعن فى نيابته ما يقبلش ..

وفلان زميلنا فى سجن روض الفرج انت عارف جرى له ايه دلوقت : عقبالك ده مدير مكتب وزير التموين .. الله يرحم أيام زمان .. أيام ما كنا نركب سوا فى الترامواى درجة ثانية وعلى السلم دلوقت الكاديلاك ؟.. وفلان صاحبنا اللى ما كانش بيعمل حاجة الا انه تشريفاتى الشلة النهارده بقى فى هيئة الامم المتحدة ملحق صحفى قد الدنيا ؟..

ثم تخرجنا وبدأت أعراض النفعية والمادية تتغلغل فى نفوس بعض الافراد .. منهم من قنع بالبقاء فى منزله .. ومنهم من ركن نفسه فى وظيفة حكومية لا تسمن ولا تغنى من جوع .. ومنهم من انقلب مرة واحدة جاسوسا أو ذنبا للجواسيس ..

وهكذا نحن فى مصر .. وهكذا نحن فى الشرق كله .. لا نفكر الا

فى مصالحنا الخاصة أولا .. ومصالحنا العامة أخيرا .. وهذا نحن فى مصر ونحن فى الشرق لا نصمد أمام مغريات الحياة ؟

وهذا نحن فى مصر ونحن فى الشرق نتأثر بأعمال غيرنا اذا ماكانت معيبة ولا نتأثر اذا ما كانت خيرة ..

ولهذا فقد أخذنا نتقهقر بينما يتقدم غيرنا ، كما أخذنا نهبط بينما يرتفع سوانا .

ولهذا فقد أصبحنا فى ذيل الامم بعد أن كنا رأسها غير أن كل شىء سيتغير أو هو فى طريقه الى التغيير واننا قد بدأنا نتجه نحو الوطنية السليمة كما بدأنا نعمل لنسترد مكانتنا ولنطرد المستعمرين أعداءنا ولنثبت للدنيا بأسرها اننا شعب يومه حى .. وماضيه حى .

956:A16iA:c.1
ابو المجد ،صبرى
الاستعمار احلاف ودولارات
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01052218

AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT